الفصل السابع والثلاثون

مملكة الحيرة

وللاخباريين واللغويين وعلماء تقويم البلدان ، آراء في أصل اسم (الحيرة) ، وبينهم في ذلك جدل على التسمية طويل عريض ، كما هو شأنهم في أكثر أسماء المدن القديمة التي بَعُد عهدها عنهم فحاروا فيها . وايرادها هنا يخرجنا عن صلب الموضوع ، وهي أقوال لا تستند الى نصوص جاهلية،ولا الى سند جاهلي محفوظ. ومن أحب الوقوف عليها،وتعرُّف مذاهب القوم فيها،فعليه بمراجعة تلك المظان[1] ، كما ان لبعض المحدثين آراء في هذا الباب[2] .

ومعظم المستشرقين،يرون انها كلمة من كلمات بني إرم،وانها (حرتا) (Harta) (Hirta) (Hérta) (حيرتا) (حيرتو) السريانية الأصل ، ومعناها المخيم والمعسكر وانها تقابل في العبرانية كلمة (حاصير) (Haser)[3] ، وان (حيرتا) (حيرتو)

---

١ ابن الفقيه (١٨١) ، البلدان (٢/٣٧٥) ، أبو تمام ، الحماسة (٨١١) ، البيت (٢) ، « والحيرة .... قرب الكوفة ، والنسبة حيري وحاري » ، القاموس (٢/١٦) ، البكري ، معجم (٢/٤٧٨ وما بعدها) ، (طبعة السقا) ، المشرق ، السنة ، ١٩٠٨ ، (٧٧) ، (والحيرة ، بالكسر : بلد بجنب الكوفة ينزلها نصارى العباد ، والنسبة اليها حيري وحاري) ، اللسان : مادة (حير) .

٢ يوسف رزق الله غنيمة ، الحيرة ، المدينة والمملكة العربية، بغداد، سنة ١٩٣٦م، (ص ١١) .

٣ Ency., II, P. 314, Rothstein, Die Dynastie der Lakhmiden, S. 12.
وسيكون رمزه : Rothstein
Fränkel, Aram. Fremdwörter in Arabish, XV, XVIII,
Nöldeke, Sasa., S. 25.

في التواريخ السريانية تقابل (العسكر) عند الاسلاميين[1] وهي في معنى (الحضر) و (حاضر) و (الحاضرة) كذلك . ولهذا زعم بعض المستشرقين ان (الحضر) اسم المكان المعروف في العراق أخذ من هذا الأصل العربي، أي من (الحضر)[2] .

وقد عرفت (الحيرة) في مؤلفات بعض المؤرخين السريان ، فعرفت بـ (الحيرة مدينة العرب)[3] ، (حيرتا دي طياية) ، كما عرفت بأسماء بعض ملوكها مثل (النعمان) ، فورد (حيرتو د نعمان دبيث بورسويي) ، أي : (حيرة النعمان التي في بلاد الفرس)[4] .

ويلاحظ ان تعبير (حيرة النعمان) (حيرتا دى نعمان) ، تعبير شائع معروف في العربية كذلك . ولا بد أن يكون لاشتهار (الحيرة) باسم (النعمان) سبب حمل الناس على نسبة هذه المدينة اليه .

ويرى بعض علماء التلمود أن مدينة (حواطره) (حوطرا) التي ورد في التلمود أن بانيها هو (برعدى) (بن عدى) ، هي الحيرة[5] . وقد حدث تحريف في الاسم ، بدليل أن التلمود يذكر أنها لا تبعد كثيراً عن (نهر دعه) (Nehardea) ، وأن مؤسسها هو (برعدى) ، ويقصد به (عمرو بن عدي)[6].

ويظن أن موضع (حرتت دارجيز) (حارتا دار جيز) (حرته دار جيز)، الوارد في التلمود ، هو (الحميرة)[7] . وقد ورد أن (ارجيز) وهو ساحر ، هو الذي بنى تلك المدينة . ويرى بعض الباحثين احتمال وجود صلة بين هذا الساحر وبين قصة (سِنِمّار) باني (الخورنق)[8] . وعرفت في التلمود بـ (حيرتا

---

١ Musil, Palmyrena, P. 289, Hoffmann, in ZDMG., 32, (1878), 753, F. Altheim, Geschichte der Hunnen, I, (1959), S. 130.

٢ Die Araber, I, S., 275, Hoffmann, In ZDMG., 32, 1878, 753, F. Altheim, Geschichte der Hunnen, I, 1959, 130, Anm. 34, Brockelmann, Lexi. Syriacum, 2, 1928, 228a, Die Araber, II, S. 225.

٣ الديورة في مملكتي الفرس والعرب (ص ٣٢ ، ٤٧) .

٤ Rothstein, S. 13, John of Ephesus, 352, 10, 13, John of Ephesus, 3, 216, Die Araber, I, S. 275, II, S. 225.

٥ S. Funk, Die Juden in Babylonien, II, S. 154, Sabbat I, 14.

٦ S. Funk, Die Juden, II, S. 154.

٧ Sanhedrin 5b, Sabbat 19b, Erubin 63a.

٨ Die Juden, II, S. 155, J. Obermeyer, Babylonien, S. 234.

دي طيبه) أيضاً ، أي (معسكر العرب) و (حيرة العرب)[1] .

وقد ذكر اسم الحيرة في تأريخ (يوحنا الأفسوسي) (John of Ephesus) من مؤرخي القرن السادس الميلاد (توفي سنة ٥٨٥ م) ، فقال : (حيرتود نعمان دبيت بور سوبي) ، أي : (حيرة النعمان التي في بلاد الفرس)[2] ، كما ذكرها (يشوع العمودي) (Josua Stylites)[3] . وورد اسمها في المجمع الكنسي الذي انعقد في عام (٤١٠ م) ، وكان عليها إذ ذاك اسقف اسمه (هوشع) (Hosha) اشترك فيه ووقع على القرارات باسم (هوشع) اسقف (حيرته) (حيرتا)[4] .

وقد أشرت في أثناء حديثي عن مملكة (تدمر) الى ورود اسم مدينتين هما (حيرتا) (الحيرة) و (عاناتا) (عانة) في كتابة يرجع تأريخها الى شهر أيلول من سنة (١٣٢) للميلاد[5] . وقلت باحتمال أن تكون (حيرتا) هذه هي الحيرة التي نبحث فيها الآن . فإذا كان ذلك صحيحاً ، كانت هذه الكتابة أقدم كتابة وصلت الينا حتى الآن ورد فيها هذا الاسم[6] .

ومدينة (Eertha) التي أشار اليها (كلوكس) (Glaucus) و (اصطيفان البيزنطي) (Stephen of Byzantium)[7]،وذكر أنها مدينة (فرثية) (Parthian) تقع على الفرات ، هي هذه الحيرة على ما يظن[8] .

وورد في بعض مؤلفات السريان مع (الحيرة) اسم موضع آخر قريب منها هي (عاقولا)[9] ، وقد ذهب (ابن العبري) الى أنه (الكوفة)[10] ،

---

١ J. Obermeyer, S. 234.

٢ John of Ephesus, 352, 10, 13.

٣ Rothstein, S. 13.

٤ Musil, Palmyrena, P. 20, ZDMG., 43, S. 388.

٥ راجع تاريخ العرب قبل الاسلام (٣/٨١) ، لجواد علي ، (٤/٦) .

٦ Littmann, 6, CIS, II, III, P. 156, 3073.

٧ Glaucus, Fragmenta, P. 409, (Muller), Stephen of Byzantium, Ethnica, P. 276, (Meineke), Paulys - Wissowa Elfer Halbbend, (1907), S. 552.

٨ Musil, Euphrates, P. 102.

٩ الديورة في مملكتي الفرس والعرب (ص ٥٩) .

١٠ Bar Hebraeus, PP. 94, 101.

وأشار (ياقوت) الى (عاقولاء) غير أنه لم يحدد موقع هذ المكان[1] .

وقد اشتهرت الحيرة في الأدب العربي بحسن هوائها وطيبه ، حتى قيل «يوم وليلة بالحيرة خير من دواء سنة »[2] . وقيل عنها انها « منزل بريء مريء صحيح من الأدواء والأسقام »[3] ، وهي على (سيف البادية)[4] ليست بعيدة عن الماء ، وقد ورد ذكرها كثيراً في شعر الشعراء الجاهليين والاسلاميين،وهي لا تبعد كثيراً عن (النجف) و (الكوفة)[5] .

وقد ذكر (حمزة الأصفهاني) انه بسبب حسن هواء الحيرة وصحته لم يمت بالحيرة من الملوك أحد ، الا قابوس بن المنذر . أما بقية الملوك ، فقد ماتوا في غزواتهم ومتصيّدهم وتغرّبهم ، وانه بسبب ذلك قالت العرب : « لَبِيتَةُ ليلة بالحيرة أنفعُ من تناول شربة »[6] .

وقد نعتت في المؤلفات الاسلامية بنعوت منها : (الحيرة الروحاء)[7] ، و (الحيرة البيضاء)[8] ، أخذوا ذلك من شعر الشعراء . وزعم بعض أهل الأخبار : ان وصفهم اياها بالبياض ، فإنما أرادوا أحسن العمارة .

ويظهر من وصف أهل الأخبار للحيرة أنها لم تكن بعيدة عن الماء وأن نهراً كان يصل بينها وبين الفرات . بل يظهر ان هذا النهر كان متشعباً فيها ، بحيث كوّن جملة انهار فيها . اما نواحيها ، فكانت قد بنيت على بحر النجف وعلى شاطيء الفرات ، وربما كانت مزارع الحيرة واملاك أثريائها قائمة على جرف

---

١ البلدان (٦/٩٨) .
٢ الاصطخري ، المسالك (٨٢) .
٣ الطبري (١/٨٥٠) .
٤ الاصطخري (٨٢) ، ابن حوقل (١٦٣) ، البلدان (٢/٣٧٥) .
٥ اليعقوبي ، البلدان (ص ٣٠٩) ، «طبعة دي غويه» ، رحلة ابن جبير (ص٢١٠)، (دي غويه) ، الاصطخري (١٦٣) ، « دي غويه » .
٦ حمزة (٧٥) .
٧ قال عاصم بن عمرو :
صبحنا الحيرة الروحاء خيلا ورجلا فوق أنباح الكلاب
البلدان (٣/٣٧٦) .
٨ قال الشريف الرضي :
بالحيرة البيضاء حيث تقابلت شمم العباد عريضة الأعطان
ديوان الشريف الرضي (٢/٨٨٥ وما بعدها) ، البلدان (٣/٣٧٧) .

البحر وشاطىء النهر[1] ومن أنهار الحيرة نهر كافر[2] . ويرى بعض أهل الأخبار انه هو نهر الحيرة[3] .

وقد أدى ميلاد الكوفة في الاسلام الى أفول نجم الحيرة ، اذ انتقل الناس من المدينة القديمة الى المدينة الاسلامية الجديدة ، واستعملوا حجارة الحيرة وقصورها في بناء الكوفة ، وهذا مما ساعد على اندثار تأريخ تلك المدينة الجاهلية ولا شك . غير انها ظلت أمداً طويلاً تقاوم في الاسلام الهرم الى أن جاء أجلها فدخلت في عداد المدن المندثرة .

وقد عرف ملوك الحيرة عند أهل الأخبار بـ (آل لخم) وبـ (آل نصر) . كما عرفوا بـ (النعامنة) وبـ (المناذرة) ، وذلك لشيوع اسم النعمان واسم المنذر فيما بينهم[4] . وعرفوا أيضاً بـ (آل محرق) ، وفيهم يقول الشاعر الأسود بن يعفر :

ماذا أؤمل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعد إياد
أرض الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد[5]

وفي طليعة أهل الأخبار الذين عنوا بجمع أخبار الحيرة الأخباري الشهير ، بل رأس أهل الأخبار في أمور الجاهلية : (هشام بن الكلبي) . فله كتاب في (الحيرة) سماه (ابن النديم) (كتاب الحيرة وتسمية البيع والديارات ونسب العباديين) ، وكتاب ثان سماه (ابن النديم) (كتاب المنذر ملك العرب) ، وكتاب ثالث اسمه (كتاب عدي بن زيد العبادي)[6] . وهي مؤلفات لم تصل الينا — ويا للأسف ! — نرجو أن تكون في عالم الوجود، ليتمكن من يأتي بعدنا من الظفر بشيء جديد فيها ، قد يفيد عشاق تأريخ الحيرة ويزيد في معارفهم .

---

١ تقويم البلدان ، لأبي الفداء (٢٩٩) .
٢ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، للأنباري (١٢٤) .
٣ (قال أبو عمرو : كافر نهر بالحيرة) ، الاغاني (١٢٥/٢١) ، (فقذف المتلمس صحيفته في نهر الحيرة) ، الاغاني (١٢٦/٢١ وما بعدها) ، ابن حبيب ، أسماء المغتالين من الاشراف في الجاهلية والاسلام (نوادر المخطوطات) ، (ص ٢١٣) .
٤ التنبيه (ص ١٥٨) .
٥ المعارف (ص ٢٨٢) .
٦ الفهرست (١٤٦ وما بعدها) ، (أخبار هشام الكلبي) .

وقد زارها نفر من السياح وكتبوا عنها ، كما نبشت بعض البعثات الآثارية آثارها ، وعالجت مديرية الآثار القديمة في العراق بعض نواحٍ من تأريخها ، وقد توصل الحفّارون الى العثور على نقوش من الجبس مما تُكسى به الجدر للزينة ، وعلى جرار متعددة وآثار من هذا القبيل صغيرة بعضها من العهد الجاهلي وبعضها من العهد الاسلامي[1] . غير انهم لم يعثروا حتى الآن على كتابات جاهلية تتحدث عن تأريخ تلك المدينة القديمة السيئة الحظ .

وتأريخ هذه المدينة قبل الميلاد غامض لا نكاد نعرف من أمره شيئاً ، فلم يرد خبرها في نص تأريخي مدوّن أو كتابة مدوّنة قبل الميلاد . وأقدم ذكر لهـا هو ما أشرت اليه ، غير ان ذلك لا يتخذ دليلاً على انها لم تكن مولودة قبل هذا العهد ، اذ يجوز انها كانت قبل هذا العهد قرية صغيرة ، أو مدينة تسمى باسم غير هذا الاسم . ولعل المستقبل سيكشف عن تأريخها القديم بالسماح لبطن الأرض بإخراج ما في جوفها من أسرار عن ذلك التأريخ .

أما الأخباريون ، فيرجعون عهدها الى أيام (بختنصر) . هم يقولون : إن (برخيا) لما قدم من (نجران) وأخبر (بختنصر) بما أوحى الله اليه ، وقص عليه ما أمره به من غزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب ، وان يطأ بلادهم بالجنود فيقتل مقاتلتهم ويستبيح أموالهم ، وأعلمه كفرهم بـه ، واتخاذهم آلهة دون الله ، وتكذيبهم الرسل والأنبياء ، وثب (بختنصر) على من كان في بلاده من تجار العرب ، وكانوا يقدمون عليه بالتجارات والبياعات ، ويمتارون من عندهم الحب والتمر والثياب وغيرها ، فجمع من ظفر به منهم ، فبنى لهم حيراً على النجف وحصّنه ثم ضمهم فيه ، ووكل بهم حرساً وحفظة ، ثم نادى في الناس بالغزو ، فتأهبوا لذلك ، وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب فخرجت اليه طوائف منهم سالمين مستأمنين. فاستشار (بختنصر) فيهم (برخيا) ، فقال : إن خروجهم اليك مـن بلادهم قبل نهوضك اليهم رجوع منهم عمّا كانوا عليه ، فأقبل منهم ، فأحسن اليهم ، فأنزلهم (بختنصر) السواد على شاطىء الفرات ، فابتنوا موضع عسكرهم بعد ،

---

١ D. Talbot Rice, The Oxford Excavation at Hira, In Ars. Islamica, Vol., I, Part, I, MCM, XXXIV, P. 51, Ann Arbar University Press, Journal of the Royal Central Asian Society, Vol., XIX, April, 1932, P. 254, Vol., Sept., 1932, P. 276.

فسمّوه (الأنبار) . ثم سار (بختنصر) لمقاتلة العرب ، فنظم (بختنصر) ما بين (أيلة) و (الأيلة) خيلاً ورجلاً ، ثم دخلوا على العرب . وسار (بختنصر) بجيشه حتى التقى بموضع (ذات عرق) بعدنان فهزمه ، وسار الى بلاد العرب حتى قدم الى (حضور) وقد اجتمع أكثر العرب من أقطار (عربة) ، فخندق الفريقان ، ثم تصالح (بختنصر) و (عدنان) ، بعد أن أكلت السيوف العرب. وعاد (بختنصر) بمن أخذ معه من سبايا العرب فأسكنهم (الأنبار) . وذهب قوم ممن أفلت قبل الهزيمة الى (ريسوب) وعليهم (عك) . وذهب الباقون الى (وبار) . ولما رجع (بختنصر) ، مات (عدنان) ، وبقيت بلاد العرب خراباً حياة (بختنصر) . فلما مات (بختنصر) خرج (معد بن عدنان) ومعه الأنبياء أنبياء بني اسرائيل حتى أتى (مكة) فحج وحج الأنبياء معه ، ثم خرج حتى أتى (ريسوب) فاستخرج أهلها ، وقتل أكثر (جرهم) ، ثم تزوج ابنة معانة ، فولدت له نزار بن معد[1] .

فمؤسس الحيرة على رواية هؤلاء الأخباريين ، هو (بختنصر) . وهو مؤسس (الأنبار) في نظرهم أيضاً . وقد كان ذلك في أيام عدنان .

وقد سبق لي أن تعرضت لهذه الرواية ولجذورها وأصولها في مواضع من الأجزاء المتقدمة من هذا الكتاب .

وفي بعض روايات الأخباريين أن (الأردوان) ملك النبط ، وكان معاصراً لـ (أردشير) ، هو الذي بنى الحيرة . كما أن (بابا) خصم (الأردوان) هو الذي أنزل من أعانه من الأعراب (الأنبار) . فالحيرة والأنبار إذن هما من عمل ملكين متخاصمين من ملوك النبط تخاصما في أيام أردشير . ولأهل اليمن ، ومثلهم (الهمداني) ، رواية أخرى في بناء (الحيرة) ، فهم يرجعون بناءها الى (تبع)[2] .

ويحدثنا (ابن الكلبي) بأن تبعاً المعروف بالرائد — وهو تبّان أسعد أبوكرب ابن ملكي كرب تبع بن زيد بن عمرو بن تبع وهو ذو الأذعار بن أبرهة تبع ذي المنار بن الرائش بن قيس بن صيفي بن سبأ — لما سار في أيام (بشتاسب

---

١ الطبري (١/٢٩١ وما بعدها) .
٢ البلدان (٣/٣٧٧) .

وأردشير بهمن بن اسفندريار بن يشتاسب) متوجهـاً من اليمن في الطريق الذي سلكه (الرائش) قبلـه ، خرج على جبلي طيء ، ثم سار يريد الأنبار ، فلما انتهى الى موضع الحيرة ليلاً ، تحيّر ، فأقام مكانه ، وسمي ذلك الموضع الحيرة. ثم سار وخلف به قوماً من الأزد ولخم وجذام وعاملة وقضاعة ، فبنـوا وأقاموا به . ثم انتقل اليهم بعد ذلك ناس من طيء وكلب والسكون وبالحارث بن كعب وإياد . ثم توجه الى الأنبار[1] .

وروى الطبري رواية أخرى تشبه هذه الرواية ، ولكنها رواية مختصرة لم تذكر اسم تبع ، وقد أخذ الطبري روايته هذه عن شيخه عبدالله بن أحمد المروزي[2] .

هذه هي أقـوال الأخباريين في كيفية مجيء العرب الى العـراق وفي سكناهم الحيرة والأنبار وما بين المكانين من أرضين . وهي أقوال فيها شيء من الحق ، ولكنْ فيها شيء كثير من الخطأ والضلال . فنحن لا نريد أن ننكر هجرة القبائل العربية من الجزيرة الى العراق ، فهذا أمر ليس الى نكرانه من سبيل ، ولكننـا لا نستطيع أن نوافقهم على أقوالهم في مبدأ تلك الهجرة وفي تواريخها ، وفي كيفيتها فتلك أمور لا يعرفها الأخباريون . كما أننا لا نستطيع أن نوافقهم في زعمهم على من قاد تلك الهجرة والهجرات التي تلتها من رجال . فنحن نعلم حق العلم أن من تحدثوا عنهم وجعلوهم في الدهر الداهر وفي العرب العاربة أو في أيام ملوك الطوائف هم في الأكثر أناس عاشوا بعد الميلاد ، وبينهم رجال لا تبعد أيامهم كثيراً عن الإسلام ، وبينهم أناس اخترعتهم مخيلة الأخباريين .

وتأريخ الحيرة مع سعته وكثرة ما يرويه الأخباريون منه ، لا يخلو من اضطراب ومن تناقض يدفعنا أحياناً الى العجب من قول (ابن الكلبي) مثـلاً : « إني كنت استخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من عمـل منهم لآل كسرى وتأريخ سنيهم من بيع الحيرة ، وفيها ملكهم وأمورهم كلها »[3]. وهو كما نعرف سند الأخباريين ومرجعهم الأول في تأريخ الحيرة . فرجل يدعي هذه الدعوى ويستقي أخباره من مواردها الأصلية ، لا يجوز صدور روايات منه يناقض بعضها بعضاً ، وأخبار لا تؤيد هذا الزعم . فللرجل روايات عن حادث

---

١ الطبري (٢/٣) .
٢ الطبري (٢/٣) .
٣ الطبري (٢/٣٧) .

واحد تثبت ، إن صح أنها له ، أن الرجل لم يكن صاحب رأي ولا اجتهاد فيما يرويه ، وأنه يروي كل ما يقال له دون نقد أو تمحيص . فهو يروي خبراً عن حادث في شكل ، ثم يرويه في شكل آخر يختلف عما رواه كل الاختلاف أو بعض الاختلاف . ثم هو يزيد وينقص في أسماء الملوك وفي مدد حكمهم ، ويذكر اجمالاً ، ثم يناقض ما قاله تفضيلاً . غير أن علينا — ونحن أحياء نكتب عن شخص مضى على وفاته أكثر من ألف عام — أن نكون حذرين في القول. فنحن لا نستند في حكمنا هذا الى مؤلف كامل الرواية لذلك الرجل ، إنما نستند الى كتب اقتطعت من مؤلفات ابن الكلبي وروت عنها . فما يدرينا لعلّ الخطأ في هذه الكتب ، والاضطراب فيها ، أو أن أصل الاضطراب في الموارد التي نقل ابن الكلبي منها . فما رواه ابن الكلبي إذن هو حكاية لما وجده هو أو أخذه من أفواه الرواة ، فلا لوم عليه في هذا الشأن ولا تثريب . ولسنا في هذا المكان قضاة نحاول توجيه اللوم لأحد ، أو نسحب اللوم من أحد . فهذا ليس من شأننا في هذا الموضع ولا من اختصاصنا ، إنما نريد أن نشير الى هذا التناقض العجيب الغريب الذي نراه فيما وصل الينا من روايات تتعلق بحادث واحد ، والذي نراه بين تواريخ الأخباريين عن ملوك الحيرة مثلاً ، فما ذكره (الطبري) من أسماء ملوك لخم ومدد حكمهم ، يختلف بعض الاختلاف عمّا ورد في تأريخ (حمزة) مثلاً أو في (مروج الذهب) للمسعودي ، أو في المؤلفات الأخرى التي سترد أسماؤها في ثنايا البحث ، مع أنها تشير أحياناً الى المورد الذي استقت منه، كابن الكلبي مثلاً . وهذا هو الذي يحملنا على العجب من وقوع هذا الاختلاف .

فهل نقل هؤلاء من كتاب واحد من كتب (ابن الكلبي) مثلاً ، أو انهم نقلوا من مؤلفات متعددة لابن الكلبي ، فحدث من أجل ذلك هذا الاختلاف على انه ، مع افتراض هذه الحالة ، لا يجوز وقوع مثل هذا الاختلاف ، اذ لا يعقل أن يكتب مؤلف واحد فاهم للمادة هاضم لها ، له نقد وتفكير تأريخي ، خبراً في كتاب يختلف اختلافاً بيّناً عما كتبه في كتاب له آخر، الا أن يكون قد عثر على موارد جديدة وروايات حصل عليها بعد تأليف الكتب السابقة . ومهما يكن من شيء فإن أمر مناقضة الأخباريين أنفسهم في رواية الأخبار ، وفي عدم تنسيقها ، من الأمور التي لا ينفرد بها أخباري واحد ، وتجد في تأريخ الطبري أمثلة من هذا القبيل حيث يناقض خبره في موضع خبره المروي في موضع آخر

دون أن يشير اليه أو يشير الى وقوعه من الأخباريين . وقد فطن (ابن الأثير) الى ذلك فأشار الى انه ناقل ، وذاكر ما وجده وما قاله مختلف الأخباريين ليقف عليه القارىء . ثم لم يغفل ، فذكر ما هو مرجح لديه ، أو ما هو مرجح لدى أكثرية الأخباريين .

ومن مواضع الاختلاف بين الأخباريين ، اختلافهم في تسلسل من حكم (الحيرة) من ملوك ، وفي مدد حكمهم . ومن عادتهم ذكر مدة حكم الملك إجمالاً ، كأن يقولوا : « حكم مدة كذا من السنين » ، ثم يذكرون ذلك تفصيلاً محسوباً بالنسبة الى مدة حكم من عاصر ذلك الملك من ملوك الفرس ، كأن يقولوا : « منها كذا في حكم الملك الفلاني ، وكذا في حكم الملك الفلاني » ، وهكذا إن كان الملك قد أدرك جملة ملوك من ملوك الفرس . وأنت اذا فحصت ما ذكروه اجمالاً ، ثم ما ذكروه تفصيلاً وجمعته بعضه مع بعض تجد اختلافاً بين حاصل الجمع والعدد المذكور اجمالاً في بعض الأحايين . وقد أوجد اختلاف الأخباريين في تسلسل الملوك وفي مدد الحكم صعوبات جمة للباحثين في هذا التأريخ في تثبيت تواريخ الملوك ، وفي تعيين أيامهم على وجه مضبوط ما برحت قائمة في هذا المدوّن عن تأريخ آل لخم وتأريخ آل غسان .

وقد درج بعض المؤرخين مثل الطبري وأبي حنيفة الدينوي وابن الأثير على ادماج تأريخ الحيرة في تأريخ الفرس في الجملة ، فهم وأمثالهم يذكرون في كلامهم على ملك من ملوك الساسانيين صلات ذلك الملك بعرب الحيرة،ويشيرون الى ملكها الذي كان يحكم في أيامه ، والى عدد من عاصر من ملوك الفرس ، ولذلك تجزأ تأريخ الحيرة وتناثر في صفحات فصول هؤلاء المؤرخين عن تأريخ الساسانيين .

ودرج فريق آخر كاليعقوبي وحمزة والمسعودي على تدوين تأريخ الحيرة في باب مستقل بني على حسب تسلسل حكم الملوك كما استقر ذلك في ذهن الكاتب ، مع ذكر بعض الأمور المتعلقة بالملك من سني حكم،أو من معاصرة لملوك الساسانيين أو من بناء أو ما شابه ذلك . وتجد في مؤلفات هؤلاء الأخباريين أموراً لم يتطرق اليها أصحاب الطريقة الأخرى في بعض الأحيان . وتفيدنا مؤلفات هؤلاء من هذه الناحية في زيادة علمنا بتأريخ الحيرة المستقى من المورد الأول .

ويؤسفنا جداً أن لا نملك حتى الآن دراسة علمية دقيقة للتاريخ وللمؤرخين الإسلاميين وللموارد التاريخية وكيفية أخذ بعضها من بعض ، وهي دراسة لا بد

منها ، إذ بغيرها لا نتمكن من كتابة تأريخ بالمعنى العلمي للعرب قبل الاسلام . وهي تيسر لنا فهم اتجاهات المؤرخين ، وتصنيف الموارد على أساس الأسبقية ، وبذلك تتيسر مهمة المؤرخ بعض التيسر ، وتمهد له الجادة بعض التمهيد .

ومن المؤسف حقاً أن الأخباريين كانوا يتصرفون بالنصوص وبالمقتبسات التي يعتمدون عليها ، ويجرون فيها بعض التغيير ، وربما أغفلوا أسماء أصولها ، فتظهر كأنها منهم على حين أنها نقل وأخذ . ولو أشاروا الى المقتطفات والمقتبسات في الموضع المناسب ، لكان في اشارتهم هذه خدمة كبرى لمن جاء بعدهم ، وهداية الى الموارد الأصلية التي يجب أن يرجع اليها ويعتمد عليها .

ومن حسن الحظ ان بين أيدينا جملة مؤلفات لاتينية ويونانية ، وردت في ثناياها اشارات الى (عرب الروم) و (عرب الفرس) ، أي عرب الشأم من (آل جفنة) وعرب الحيرة من (آل لخم) . وقد عاصر بعض أصحاب هذه المؤلفات أولئك القوم ،واشتركوا هم أنفسهم في الحملات لكونهم مؤرخين رسميين يسيرون مع القيصر أو القواد لتدوين الحوادث والمشاهدات . وقد أفادتنا اشاراتهم هذه فوائد كبيرة ، وعليها كان جلّ اعتماد الباحثين في ايجاد مواضع ارتكاز يطمئن اليها في تعيين تواريخ (آل جفنة) أو (آل لخم) . وبها تمكنا من تصحيح أكثر أغلاط الأخباريين . ولقدمها — بالنسبة الى مؤلفات الاسلاميين — ولكون معظمها من عهد ما قبل الإسلام ، وكان لها حق التقديم بالطبع في نظر المؤرخ الحديث ، ولكن هذا لا يدفع عنها مع ذلك مواطن النقد والشبهات .

وللمؤلفات السريانية فضل يجب ألا ينسى أيضاً في تدوين هذا التأريخ، ولكنها ليست على الاجمال كالمؤلفات اليونانية واللاتينية في الدقة وفي النقد . ولما كان الكثير منها تواريخ كنسية ، تعرضت لتأريخ الحيرة أو عرب الشأم أو العرب الآخرين بقدر ما لهؤلاء من صلة بالكنيسة وبالنصرانية . وهي على الجملة تمزج الأخبار بالمعجزات وبخوارق العادات وبرواية كرامات الآباء في هداية الملوك الوثنيين وسادات القبائل ، وهي لا تخلو أيضاً من العصبية التي اتسم بها ذلك الزمن في النزاع المذهبي الذي منيت به النصرانية وفي محاولة الغض من الطرف النصراني الثاني ، كالذي نجده بين المؤلفات النسطورية واليعقوبية والملكية وأمثالها ، فلكل منها رواية بأسلوبها الخاص ، لذلك وجب علينا الانتباه لهذه الناحية حين الرجوع اليها ، وتخليص رواياتها من شوائب العصبية للمذهب ، ونقدها لاستخلاص

العنصر التأريخي منها في تدوين تأريخ صحيح لعرب العراق او عرب بلاد الشأم أو عرب جزيرة العرب .

وأهل الحيرة عرب ، يقسمهم الأخباريون الى طبقات ثلاث : تنوخ،والعباد، والأحلاف[1] . وهؤلاء في نظرهم من قبائل متعددة ، فيها من قحطان وفيها من عدنان . وقد ذكروا ان في لهجة أهل الحيرة هجنة ، رجّعوا سببها الى اختلاط هؤلاء العرب بمن كان يفد عليهم من النبط ممن كانوا يثيرون الأحداث فيلتجئون الى هذا المكان[2] . ولذلك شابت لهجتهم رطانة نبطية . وقد كتبوا بقلم (بني إرم)، شأنهم في ذلك شأن تدمر وأهل (بطرا) اذ استعملوا قلماً نبطياً متأخراً في الكتابات.

أما تنوخ ، فهم قبائل سكنوا بيوت الشعر والمظالّ والوبر غربي الفرات بين الحيرة والأنبار فما فوقها في اصطلاح أهل الأخبار[3] . ويظهر من وصفهم لتنوخ انهم قصدوا بهم من كان يشتغل بالزراعة ومن كان يعيش عيشة أهل البادية من سكان هذه المنطقة : منطقة ما بين الحيرة والأنبار . ولم يقصدوا قبيلة معينة[4] .

وللأخباريين رأي خاص في تفسير أصل كلمة (تنوخ) خلاصته : انه لما مات (نختنصر) ، انضم الذين كان أسكنهم الحيرة من العرب الى أهل الأنبار، وبقيت الحيرة خراباً ، فغبروا بذلك زماناً طويلاً لا تطلع عليهم طالعة من بلاد العرب ولا يقدم عليهم قادم . وبالأنبار أهلها ومن انضم اليهم من أهل الحيرة من قبائل العرب من بني اسماعيل وبني معدّ بن عدنان . فلما كثر أولاد معد بن عدنان ومن كان معهم من قبائل العرب ، وملأوا بلادهم من تهامة وما يليهم ، فرقتهم حروب وقعت بينهم وأحداث حدثت فيهم ، فتشتتوا . وأقبلت منهم قبائل حتى نزلوا البحرين ، وبها جماعة من الأزد كانوا نزلوها في دهر (عمران ابن عمرو) من بقايا (بني عامر) ، وهو : (ماء السماء بن حارثة)،وهو: (الغطريف بن ثعلبة بن امرىء القيس بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة) ، و (مالك بن زهير بن عمرو بن فهم بن تيم الله

---

١ حمزة (٦٦) .
Die Araber, I, S. 268, Nöldeke, Geschichte der Perser, (1879), S. 24.

٢ البلدان (٣/ ٣٨٠) ، Rothstein, S. 18.

٣ حمزة (٦٦) ، (وتنوخ : حي من اليمن) ، اللسان (نوخ) .

٤ Rothstein, S. 28, Nöldeke, Sassa., S. 24, Anm. 3.

ابن أسد بن وبرة) في جماعة من قومهم ، و (الحيقار بن الحيق بن عمير بن قنص بن معد بن عدنان) في (قنص) كلها . ولحق بهم (غطفان بن عمرو ابن الطمثان بن عوذ مناة بن يقدم بن أنصى بن دعمى بن إياد بن نزار بن معد ابن عدنان) ، و (زهر بن الحارث بن الشلل بن زهير بن إياد) ، و (صنح ابن الحارث بن أفصى بن دعمى بن إياد) . فاجتمع بالبحرين جماعة من قبائل العرب ، فتحالفوا على التنوخ ، وهو المقام ، وتعاقدوا على التوازر والتناصر ، فصاروا يداً على الناس ، وضمهم اسم تنوخ .

وتنّخ على تنوخ بطون من (نمارة بن لخم) ، ودعا (مالك بن زهير) (جذيمة الأبرش بن مالك بن فهم بن غانم بن دوس الأزدي) الى التنوخ معه، وزوّجه أخته (لميس) ابنة (زهير) . فتنخ (جذيمة بن مالك) وجماعة ممن كان بها من قومهم من الأزد ، فصار (مالك) و (عمرو) ابنا (فهم) والأزد حلفاء دون سائر تنوخ . وكلمة تنوخ كلها واحدة . أما اجتماع من اجتمع من قبائل العرب بالبحرين وتحالفهم وتعاقدهم ، فكان على حد قول (ابن الكلبي) في أزمان ملوك الطوائف الذين ملكهم الاسكندر وفرّق البلدان بينهم عند قتله (دارا) ملك فارس الى أن ظهر (أردشير بن بابك) ملك فارس على ملوك الطوائف ، وقهرهم ، ودان له الناس .

وفي هذا العهد عهد ملوك الطوائف، تطلعت أنفس من كان بالبحرين من العرب الى ريف العراق وطمعوا فيه، واهتبلوا ما وقع بين ملوك الطوائف من الاختلاف، فأجمعوا على السير الى العراق . وكان أول من طلع منها (الحيقار بن الحيق) في جماعة قومه واخلاط من الناس ، فوجدوا الأرمانيين (بني إرم) ، وهم الذين بأرض بابل وما يليها الى ناحية الموصل ، يقاتلون الأردوانيين ، وهم ملوك الطوائف ، فاستفادوا من ذلك وانتشروا في السواد . وسكن قسم منهم بين عرب الأنبار ، وسكن قسم آخر منهم بين عرب الحيرة . ثم طلع (مالك) و (عمرو) ابنا (فهم بن تيم الله) ، و (مالك بن زهير بن فهم بن تيم الله) ، و(غطفان ابن عمر بن الطمثان) ، و (زهر بن الحارث) ، و (صنح بن صنح) فيمن تنخ عليهم من عشائرهم وحلفائهم على الأنبار على ملك الأرمانيين ، فطلع (نمارة بن قيس بن نمارة) و (النجدة) ، وهم قبيلة من العماليق ، يدعون الى (كندة) و (ملكان بن كندة) و (مالك) و (عمرو) ابني (فهم)

ومن حالفهم ، وتنخ معهم على (نفر) على ملك الأردوانيين ، فأنزلهم الحير ، أي الحيرة . فلم تزل طالعة الأنبار وطالعة (نفر) على ذلك لا يدينون الأعاجم ولا تدين لهم الأعاجم حتى قدمها تبع ، وهو: (اسعد ابو كرب بن ملكيكرب) في جيوشه فاستولى عليها ، ونزل الحيرة فيمن معه[1] .

وروى (ابن الكلبي) أن كثيراً من تنوخ نزلوا الأنبار والحيرة وما بين الحيرة وطفّ الفرات وغربيه الى ناحية الأنبار وما والاها . نزلوا في المظالّ والأخبية لا يسكنون بيوت المدر ، ولا يزاوجون أهلها . وكانوا يسمون (عرب الضاحية) . فكان اول من ملك منهم في زمان الطوائف (مالك بن فهم) ، وكان منزله مما يلي الأنبار ، ثم مات مالك بن فهم ، فملك من بعده أخوه (عمرو بن فهم) . ثم هلك عمرو بن فهم ، فملك من بعده (جذيمة الأبرش ابن مالك بن فهم بن غانم بن دوس الأزدي)[2] .

وقد أخذ الطبري ما ذكره عن (تنوخ) من روايات ترجع الى (ابن الكلبي) والى (ابن اسحاق) ، وتختلف روايات (ابن اسحاق) التي اخذها (الطبري) عن شيخه (ابن حميد) عن (سلمة) عن (ابن اسحاق) بعض الاختلاف عن روايات (ابن الكلبي) .

ولدينا رواية تذكر أن (بني زهير بن عمرو بن فهم) ، ومنهم (مالك ابن فهم) الذي تَنَّخَتْ عليه تنوخ . هو ومالك بن فهم بن غنم الأزدي ، تنخوا بعين هجر ، وتحالفوا هناك ، فاجتمعت اليهم قبائل من العرب ، فنزلوا الحيرة ، فوثب (سليمه بن مالك بن فهم) على أبيه ، فرماه فقتله ، فقال أبوه :

أعلمه الرماية كلّ يوم فلما اشتدّ ساعده رماني

فتفرقت بنو مالك ، وكانوا عشرة ، ولحقوا بعمان ، وملك جذيمة بن مالك عشرين ومئة سنة . وذلك في أيام ملوك الطوائف . وهو أول من اتخذ داراً[3] .

---

١ الطبري (٢/٢٧ وما بعدها) ، الكامل ، لابن الأثير (١/١٩٥ وما بعدها) ، البلدان (٣/٣٧٧ وما بعدها) .
٢ الطبري (٢/٢٨ وما بعدها) .
٣ الاشتقاق (٢/٣١٧ وما بعدها) .

أما ما زعمه أهل الأخبار في معنى تنوخ، فقد أشرت مراراً الى جنوح الأخباريين الى أمثال هذه التفاسير ، حين ترسو سفينة علمهم على شاطىء الجهل بالأشياء . وما تنوخ في نظري الا (Tanueitae) (Thanuitae) القبيلة التي ذكرها (بطلميوس) في جملة القبائل التي كانت في أيامه[1] . وهي وإن كانت في جغرافيته في مواضع بعيدة عن الحيرة غير ان ذلك لا يمنع من انتقال بطون منها الى الحيرة وباديـة الشأم واقامتها فيها ، وهو حادث مألوف ليس بغريب ، أو انها كانت في هذه المواضع في ايام (بطلميوس) كما كانت بطون منها تقيم في المواضع التي ذكرها أو انه أخطأ في تعيين مواضعها الصحيحة فظن انها حيث وضعها من الأماكن ، وهو أمر ليس وقوعه من الكتّاب في الزمن الحاضر بغريب ، فكيف بالنسبة الى تلك الأيام .

فتنوخ اذن على الوصف المتقدم ، هم أعراب الحيرة ، لا حضرها وأهـل مدرها ، وكانوا يعيشون في اطرافها وحولها ، في بيوت الشعـر والمظال ، على نقيض (العباديين) . وقد تبين من بعض الموارد ان بطوناً من تنوخ نزلت ارضين تابعة للروم[2] .

واما العباد ، فهم الذين سكنوا رقعة الحيرة فابتنوا بها، فهم حضر مستقرون[3] . ويقول معظم الأخباريين انهم كانوا على دين المسيح . ويقول بعضهم : انهم قبائل شتى من بطون العرب ، اجتمعوا على النصرانية ، والنسبة اليهم عبادي[4] . وذهب بعض الى انهم بطن في جزيلة من لخم[5] . وخالف فريق فذهبوا الى انهم كانوا من قبائل شتى انفردوا من الناس في قصور ابتنوها لنفوسهم ظاهـر الحيرة[6] . وانهم دانوا لأردشير[7] .

ونسبهم بعض أهل الأخبار الى (بني عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة

---

١ Sprenger, Alte Geography, 341, Glaser, Skizze, II 283, Blau, In ZDMG., 22, (1868), S. 660, Forster, II, P. 247.

٢ Die Araber, II, S. 251.

٣ حمزة (٦٦) ، Die Araber, I, S. 269.

٤ الاشتقاق (٧/٢) ، (طبعة وستنفلد) ، Rothstein, S. 19.

٥ العقد الفريد (٢٥٣/٢) .

٦ ابن القفطي : الحكماء (١٩٩) ، غنيمة (١٦) .

٧ الطبري (٤٣/٢) .

ابن أسد بن ربيعة) ، وذكروا انهم من نسل أربعة ، هم : عبد المسيح ، وعبد كلال ، وعبدالله ، وعبد ياليل[1] . وأشار (السهيلي) الى ورود اسمهم في الحديث ، فقال : « وفي الحديث المسند : أبعد الناس عن الاسلام ، الروم ، والعباد ، وأحسبهم هؤلاء ، لأنهم تنصّروا . وهم من ربيعة ، ثم من بني عبد القيس »[2] .

وللأخباريين أقوال في أصل كلمة (العباد) ، فمنهم من يقول انهم انما سمّوا بذلك لأن وفداً وفد على كسرى كانت أسماؤهم تبتدىء بكلمة عبد ، فقال كسرى : أنتم عباد كلكم فسمّوا العباد[3] . ومنهم من يقول : لا ، انما قيل لهم العباد لأنهم كانوا يعبدون الله ، فسمّوا بهذا الاسم[4] . ومنهم من يرى انهم سمّوا بذلك لأنهم لما قاتلهم سابور الأكبر ، اتخذوا شعاراً لهم ، هو ياآل عباد ، فسموا العباد[5] . الى غير ذلك من أمثال هذه التعليلات.

واظن ان خير ما نفعله في هذا الباب لمعرفة من كانت تنطبق عليهم هذه التسمية ، هو ان ندرس اسماء مشاهير من نسبوا الى العباديين من اسر ورجال ، مثل : اسرة عديّ بن زيد العبادي ، وبني مرينا ، وبقيلة ، وأمثالهم ممن حشروا في العباديين . فقد شملت التسمية هؤلاء وهم من قبائل مختلفة . كان آل عديّ ابن زيد مثلاً من تميم ، وكان بنو مرينا من لخم ، وكانت بقيلة من الأزد[6] . فهم اذن من قبائل مختلفة ، ومع ذلك عرفوا بالعباديين ، وذلك يدلّ على ان هذا الاسم لم يكن يعني قبيلة ، او بطناً ، وإنما يعني جماعة من قبائل شتى جمعت بينها وحدة الدين ، ووحدة الموطن . لذلك لم يطلق إلا على النصارى العرب من اهل الحيرة . اما غيرهم من نصارى العرب ، فلم يشملهم اسم العباديين[7] .

---

١ الروض الأنف (١/٥٣) .
٢ الروض الأنف (١/٥٣) .
٣ اللسان (٣/٢٧٢) ، (عبد) ، ابن قتيبة المعارف (٦٤٩) ، ابن العبري ، تأريخ مختصر الدول (٢٥٠) .
٤ تاج العروس (٢/٤١٠ وما بعدها) ، (عبد) ابن القفطي ، (١٧٣ وما بعدها)، اللسان (٣/٢٧٢) ، الروض الأنف (١/٥٣) .
٥ الاغاني (١١/١٥٦) .
٦ Rothstein, S. 20.
٧ Rothstein, S. 20.

ويمكن ان نقول استنـــاداً الى روايات الأخباريين في تحديد مدلول الكلمة ، واقتصارها على نصارى الحيرة دون غيرهم من نصارى العرب : إن هذه الكلمة اطلقت في الأصل عـــلى من تنصر من اهل الحيرة ، ليميزوهم عـن غيرهم من سكان المدينة من الوثنيين . ولم يكن اولئك النصارى في بادىء امرهم بالطبع إلا فئة قليلة ، ثم توسعت من بعد . فلما انتشرت النصرانية في الحيرة لازمت هـــذه التسمية جميع نصاراها ، كائناً من كانوا ، وصارت علماً لهم ، لم تميزهم عن الوثنيين حسب ، وإنما ميزتهم ايضاً عن بقية النصارى العرب من غير اهل الحيرة فلما مضى زمان طويل على هذا الاستعمال ، ظن المتأخرون انه علم ، ثم حاروا في تعليله ، فأوجدوا على طريقتهم تلك التعليلات .

ولعل العباد والعباديين من كلمة (عبد) في الأصل ، أطلقتها متنصرة الحيرة الأولى على نفسها ، لأنها تعبدت لإلـه ، لتميز نفسها عن الوثنيين . او ان اولئك الوثنيين اطلقوها على اولئك المتنصرة ، تمييزاً لهم عن سائر الوثنيين . وقد يكون لـ (عبد المسيح) علاقة بهذه التسمية كذلك . وهي تسمية شائعة بين النصارى شيوع (عبدالله) بين المسلمين[1] .

ولا استبعد ان يكون العباد والعباديين ، هم بقية (اباديدي) (Abadidi) او (إباديدي) (Ibadidi) ،الذين تحدثت عنهم في اثناء كلامي عن الآشوريين .

وقد كان العباديون أكثر أهل الحيرة ثقافة ، حذق بعضهم الصناعات ودرس بعضهم العلوم ، وفاقَ بعض آخر في اللغات فحذق العربية وتعلم الفارسية،وكانوا يتقنون في الغالب لغة بني إرم بحكم تنصرهم واعتبار النصارى لها لغة مقدسة،لأنها لغة الدين ، لذلك كان لهم وجه ومقام في الحيرة ، ولهـذا السبب اختار الفرس تراجمتهم ومن كان يتولى المراسلة بينهم وبين العرب من هؤلاء، كالذي كان مع (زيد العبادي) والد (عدي) .

وأما (الأحلاف) ، فهم الذين لحقوا بأهل الحيرة ونزلوا فيها ،ولم يكونوا في الأصل لا من تنوخ ، ولا من العباد الذين دانوا لـ (أردشير)[2] .

وقد كان بين أهل الحيرة جماعة من النبط[3] ، كما كانت بينهم جماعـــات من

---

١ Nöldeke, Sassa., S. 24, Rothstein, S. 21.

٢ حمزة (٦٦) .

٣ الأغاني (٦١/٨) .

الفرس ومن اليهود . والنبط هم من بقايا قدماء العراقيين ، وقد كان بعضهم يتكلم العربية برطانة ظاهرة ، فتأثر بعض عرب الحيرة بهذه الرطانة ، فبدت على ألسنتهم ، وذلك باختلاطهم بتلك البقية التي تكلمت بلهجة بني إرم وهي التي عرفت بلغة (النبط) عند المسلمين[1] .

وكانت للوثنيين من أهل الحيرة أصنام ، منها : اللآت ، والعزى ، وسبد[2] ، و (محرق) وبه تسمى بعض الرجال تبركاً وتقرباً اليه[3] .

لقد كان معظم نصارى الحيرة على مذهب النساطرة ، وهو مذهب شجعه الفرس في بلادهم نكاية بالروم . غير ان هنالك جماعة كانت على مذهب اليعاقبة ، كما كان بعضهم على مذاهب نصرانية أخرى لا مجال للحديث عنها في هذا المكان. وقد حاول أصحاب هذه المذاهب كسب أكبر عدد ممكن من الناس الى مذاهبهم. وطبيعي ألا يجد مذهب الروم صدراً رحباً في الأرضين الخاضعة للفرس ، لما في ذلك من أخطار سياسية تهدد مصالحهم .

وقد كانت الحيرة من المراكز المهمة في حركة التبشير بالنصرانية بين العرب . ومن الحيرة ذهب قسم من المبشرين الى اليمن والأجزاء الأخرى من جزيرة العرب لنشر النسطورية والمذاهب النصرانية الأخرى هناك ، وفيها انعقد مجمع (دار يشوع) في سنة (٤٢٤)[4] ، وفي هذه المدينة توفي هذا الجاثليق (دار يشوع) ودفن فيها على بعض الروايات[5] .

ما ذكرته عن أهل الحيرة ، هو ما يخص أهل المدينة وما حولها من الحضر المستقرين . أما من كان قد خضع لملوك الحيرة ، فكانوا قبائل يعيشون في ارضين واسعة ، كانت تتقلص سعتها وتتوسع بحسب قدرة (ملك الحيرة) ومكانته ، فقد حكم (امرؤ القيس) مثلاً (كُلَّ العرب) على حد قول النص : (نص النمارة) الذى وجد على قبره . ويقصد بذلك (كل الأعراب) ، وخص منهم (أسداً) و (نزاراً) و (مذحجاً) وغيرها ، حتى بلغ حدود (نجران) ،

---

١ (عرب إستنبطنا ، ونبط استعربنا) ، أمالي المرتضى ، (١/١٧٧) .
٢ الاغاني (٢/١٠٤) ، « طبعة دار الكتب المصرية » ، (٢/٢٠) ، (ساسي) .
٣ Rothstein, S. 95, Nöldeke, in ZDMG., 1887, S. 712.
٤ الديورة في مملكتي الفرس والعرب (١٠) .
٥ أوجين نسران ، خلاصة تأريخية للكنيسة السريانية « تعريب القس سليمان الصائغ » ، الموصل ، ١٩٣٩ (ص ٢٦ وما بعدها) .

كما ملك (معدّاً)[1] . ولكننا لا نستطيع أن نؤكد أن مُلك ملوك الحيرة قد شمل القبائل المذكورة في كل الأوقات ، بل في كل أيام حكم (امرىء القيس) ، فقد تعوّدت القبائل الانتفاضة على من يفرض حكمه عليها عند أول فرصة يشعرون فيها بضعف الحاكم ، أو أن الأوضاع أخذت تسير عكس ما يريد ، فتنقلب عليه وتخرج على طاعته .

ونجد في رسالة (شمعون الارشامي) الحيرة أن في جملة من كان في معسكر (المنذر) الثالث، (طيايه حنبه ومعداية)، أي (طيء) ومعد . والأغلب أنه قصد بـ (طياية) الأعراب ، فقد كانت تطلق بهذا المعنى في هذا العهد . ولعله قصد بـ (حنبه) (حنفه) قبيلة (بني حنيفة) أو قبيلة أخرى اسمها قريب من هذا الاسم .

ويلاحظ ان اسم (معد) كان معروفاً مشهوراً على انه من القبائل العربية الكبيرة التي تشمل منازلها أرضين واسعة . وقد ميّز بينها وبين (نزار) في (نص النمارة) مما يدل على ان (نزاراً) كانت منفصلة عن (معد) ولها اسم خاص في القرن الرابع للميلاد .

أما الأنبار التي زعم الأخباريون أنها بنيت في أيام بختنصر ، فقد كانت من المدن المعروفة في أيام الساسانيين ، تلي شهرتها في العراق شهرة مدينة (طيسفون) (Ktesiphon) . وقد تبين من فحص آثارها ومعالمها الباقية انها من المواضع التي كانت قبل عهد الدولة الساسانية ، غير اننا لا نعرف من أمرها شيئاً يذكر قبل عهد هذه الدولة . والذي بعث فيها الحياة وانشأ فيها الأبنية والعمارات ، هو الملك الساساني (سابور الثاني) (شابور) (Shapur II) (٣١٠ — ٣٧٩ م)[2] ، أو سابور الأول في بعض الروايات[3] . وقد حصّنت وقويت وجعلت قلعة حربية لصد غارات الروم على حدود هذه المملكة من ناحية الفرات . وكان لها أثر مهم في الحملة التي قام بها الانبراطور (يوليانوس) (Julianus) على مملكة الساسانيين في سنة ٣٦٣ للميلاد ، اذ دافعت عن نفسها دفاعاً شديداً . ولما تمكن يوليانوس منها ، بعد ذلك الحصار المتعب صارت ركاماً وتلالاً من الرماد ، فأمر عندئذ ببناء (هيليوبوليس) (Heleopolis) . وقد وصف المؤرخ (أميانوس مرسليانوس) (Ammianus Mercellianus) الأنبار،

---

١ تاريخ العرب قبل الاسلام ، لمؤلف هذا الكتاب (٤/٣٣ وما بعدها) ، Die Araber, II, S. 313.

٢ Paulys - Wissowa, 64, Halbband, 1950, 1725, Ency., I, P. 348.

٣ Paulys - Wissowa, 2 Halbband, 1894, 1791, Musil, Euphrates, P. 354.

وذكر تلاعها الحصينة [1] .

وفي جنوب هذه المدينة وعلى مسافة قليلة منها ، يقـع نهر عيسى الذي يصل الفـرات بدجلة ، وهو نهـر قديم يرجع عهده الى ما قبـل الاسلام ، عرف بـ (Naarsares) أو (Narsares) [2] ويظن ان الملك سابور الثاني المذكور هو الذي أمر بحفره . وقد اكتسبت المدينة بهذا النهر شأنـاً خاصاً اذ صارت فرضة مهمة ، ومخزناً للأموال ، ومركزاً عظيماً في وسط العراق للتجارة ولتبادل السلع المرسلة عن طريق دجلة الى الفرات وبالعكس . ولاسم هذه المدينة،وهو الأنبار ، علاقة بهذا المعنى على ما يظن . وهو من (Ham-bara) الايرانية القديمة،ومعناها المخزن ، ومنها (أنبار) (Anbar) بالفارسية الحديثة . وقد عرف العلماء المسلمون معنى الكلمة فذكروه [3] . ومن هذه الكلمة أخذ البيزنطيون (Anbara) (Abbareny) (Abara) ، ويقصدون بها الأنبار [4] .

وقد عرفت المدينة بـ (فيروز سابور) (بيروز شابور) (Peroz Shapur) كذلك . ومعنى هذه الكلمة (سابور المنتصر) . ومنها جاء اسمها (بيريسابورا) (Pirisaboora) (Bersabora) (Pirisaboras) المذكور في تأريـخ (أميانوس مارسليانوس) و (زوزيموس) . وقد ذكر هذا الاسم في المؤلفات السريانية . وكان عليها أسقف نسطوري [5] .

ويظـن ان موضع (أنكوباريتيس) (Ankobaritis) المذكور في جغرافيـة

---

١ Paulys-Wissowa, 64 Halbband, 1950, 1725, Ammianus, XXIV, 2, 9, XXIV, 2, 18, Musil, Euphrates, PP. 234 236, 240, 354.

٢ (نهر صرصر) ، Paulys-Wissoma, 64 Halbband, 1950, 1725.

٣ (وانما سميت الأنبار أنبار ، لأنها كانت تكون فيها أنابير الطعام ، وكانت تسمى الاهراء ، لان كسرى يرزق أصحابه رزقهم منها » ، الطبري (٢/٢٨) ، البلدان (١/٣٦٨) ، اللسان (٥/١٩٠) ، (صادر) ، (نبر) ،
Ency., I, P. 348, Fränkel, Die Aramaischen Fremdwörter in Arabischen, S. 136, Scheftelwitz, In ZDMG., IX, 699, Nöldeke, Grammatik der Neusyrichen Sprache, S. 403, Paulys-Wissowa, Zweiter Halbband, 1894. 1461.

٤ Ency., I, P. 348.

٥ Ammianus Marcellianus, XXIV, 29, 5, 3, Paulys-Wissowa, 2 Halbband, 1894, 1791.

(بطلميوس) يعني المنطقة التي تقع فيها الأنبار . فإذا كان هذا الظن صحيحاً، كان اسم هذه المدينة معروفاً اذن قبل ايام الساسانيين[1] .

ولم يذكر (ايزيدور الكركسي) (Isidorus of Charax) الذي ساح حوالي ميلاد المسيح في إنبراطورية الفرث ، اسم هذه المدينة ، ولا اسماً آخر يقع في هذا المكان ، لذلك يرى بعض الباحثين أن الأنبار لم تنشأ إلا بعد أيام (ايزيدور) وربما في القرن الأول للميلاد، وأنها أنشئت في بادىء الأمر لخزن المواد فيها وتموين الحاميات بما تحتاج اليه ، ثم توسعت في العصر الساساني حتى أصبحت المدينة الثانية في اقليم بابل بعد طيسفون[2] .

وفي رواية لـ (ثيوفيلكتس) (Theophylactus) أن (كسرى برويز الثاني) (Khusrave Abharvez) (٥٩٠ — ٦٢٨ م تقريباً) ، حينما هرب من وجه (بهرام جوبين) حوالى سنة ٥٩٠ للميلاد ، وترك العاصمة طيسفون عبر دجلة واخترق البادية حتى جاء الأنبار ، ومنها ذهب الى عانة (Anatha) ، ومنها ذهب الى (قرقيساء) حيث اتصل بالروم[3] .

وقد صارت (الأنبار) من أهم المواضع العلمية ليهود العراق في عهد (هرمز الرابع) (٥٧٨ — ٥٩١ م) أو (٥٧٩ — ٥٩٠ م) . فلما اضطهد هذا الملك اليهود ، وأمر بإغلاق مدارسهم الدينية التي كانت من أهم مدارس اليهود في ذلك العهد في مدينتي (سورا) (Surà) و (بومبيدثا) ، (فومبيديثه) (Pombeditha) ،انتقل أحبار المدينتين الى مدينة (فيروز سابور) (Peroz Shapur) أي الأنبار . وكانت إذ ذاك في حكم ملوك الحيرة[4] . وصارت منذ ذلك العهد مركزاً من مراكز الثقافة اليهودية في العراق .

وتقع (فومبديثه) (Pumbeditha) بجوار الأنبار ، وتعني (فم البداة) ، وقد كانت من أهم المستوطنات اليهودية في العراق . ومن أهم المراكز العلمية التي أخرجت طائفة من كبار أحبار اليهود ، أسهموا في تدوين التلمود وفي جمع التراث اليهودي القديم . ومن علمائها (مار رابة الغاؤون) وآخرون . وقد قدم

---

١ Ptolemy, V, 18, 4, Paulys-Wissowa, 2 Halbband, 1894, S. 1791.

٢ Paulys-Wissowa, 2 Halbband, 1894, 1791.

٣ Theophylactus, IV, 10, 4, Paulys-Wissowa, 2 Halbband, 1894, 1794.

٤ Die Araber, I, S. 630, Th. Noldeke, Tabarl, 57, Anm., 5.

اليها اليهود من فلسطين هرباً من الرومان الذين لم يعطوا اليهود الحرية الدينية الكافية للانصراف الى ممارسة شعائرهم الدينية والتعليم على وفق ديانتهم . فأسسوا مستوطنات مهمة في العراق ، منها : هذه المستوطنة ، ومستوطنة (نهر دعـة) وغيرهما ، وفي هذه المستوطنات دوّن التلمود البابلي الذي هو من أهم أركان كتب التشريع عند اليهود[1] .

وقد جاء في (بابا بثرا) أن العرب الذين أتوا الى (فومبديثه) ، استولوا على أرض اليهود . وقد جاء اليهود الى حبرهم (أبيه) (Abaya) ليكتب لهم نسختين من نسخ تملّك الأرض ، حتى اذا استولى غريب على نسخة التملك تكون لديه نسخة ثانية . وكان ذلك على أثر هذا الحادث[2] . وكان العـرب عندما ينتزعون تلك الأرضين يأخذون سندات التملك أيضاً . ولهذا راجع اليهود هذا الحبر ليكتب لهم سنديْ تملك ، حتى اذا أُخذت نسخة،احتفظ صاحب الأرض بالنسخة الثانية فيكون في امكانه مقاضاة المغتصب[3] .

ونجد في (ندّه) (Niddah) ، وهو (كتاب الحيض) من باب (كتاب الطهارة) (Seder Tohoroth) في الفقـه العبراني ، قصة تاجـر عربـي كان في (فومبديثه) ، وكان يرتدي عباءة أو جبة سوداء حالكة السواد،ولما كان السواد من الألوان المكروهة عند اليهود ، جاءه أحد زوار المدينة من اليهود، فسأله عن هذا السواد ، فقال التاجر : وهل يوجد لون كهذا اللون ! فقام عليه اليهود ، وانتزعوا منه عباءته أو جبته ومزقوها،ثم استرضوه بأن عوضوه بأربعمئة (زوز)[4] .

ملوك الحيرة :

وقد عرف ملوك الحيرة بـ (آل نصر) ، وبـ (آل لخم) ، وبـ (آل محرق) ، وبـ (آل النعمان) ، وبـ (آل عدي) . وورد ان العرب كانت تسمي بني المنذر الملوك (الأشاهب) لجمالهم[5] .

---

١ J. Obermeyer, Die Landschaft Babylonien, S. 215.
٢ Baba Bathra 168b.
٣ The Babylonian Talmud, Seder Nezikin, II, P. 735.
٤ Niddah 20a, The Babylonian Talmud, Seder, P. 131.
٥ الاشتقاق (ص ١١٦) .

ويظهر ان شهرة ملوك الحيرة بـ (آل نصر) ، هي شهرة قديمة تعود الى ما قبل الاسلام بزمن طويل . فقد ورد في الأخبار عن (نهر دعة) (Nehardea) وهي مستوطنة من المستوطنات اليهودية القديمة الكبيرة التي تأسست في العـراق ، وتقع عند فم نهر ملكا (Nehr Malka) ، أي مخرج نهر الملك من الفرات[1] ، انه في سنة (٥٧٠) من التقويم السلوقي الموافقة لسنة (٢٥٩) للميلاد ، جاء (بابا ابن نصر) الى مدينة (نهر دعة) وخرّبها ، فهرب بعض أحبارها الى مواضع يهودية أخرى ، كانت ملجأ لليهود[2] . ويظهر ان الأمير المهاجم ، وقد سمي في الخبر بـ (بابا) (Papa) ، كان من أبناء سيد قبيلة عربية اسمـه (نصر) . وقد عرف بـ (برنصر) و (بن نصر) في التلمود[3] . وقد ذهب الباحثون الى ان المراد به أحد أمراء الحيرة من (آل نصر)[4] . أما (كريتز) (Grätz)، وهو من المؤرخين اليهود المشهورين ، فقد ذهب الى انه (أذينة) زوج الملكة (زنوبيا) (الزباء) (Zenobias) ملكة تدمر[5] . غير ان هنالك أدلة تأريخيـة لا تؤيد هذا الرأي ، ثم ان الموارد العربية تنعت ملوك الحيرة بـ (آل نصر)، ولم يشتهر ملوك تدمر فيها بـ (آل نصر) .

وقد تحدثت اليك برأي أهل الأخبار في أول من حكم الحيرة من الملوك،ورأينا أن (مالك بن فهم) هو أول ملك حكم هذا الموضع على زعم ، وهو في نظرهم من الأزد[6] . وقد حكم مدة عشرين عاماً على رواية الأخباريين[7] .

وقد زعم (حمزة الأصفهاني) أن (مالك بن فهم) تملك تنوخ العراق في زمان ملوك الطوائف ، وان منزله كان بالأنبار ، وأنه بقي بها الى أن رماه ابنه (سليمة بن مالك بن فهم) رمية بالنبل ، وهو لا يعرفه . فلما علم أن سليمـة راميه ، قال :

---

١ J. Obermeyer, Die Landschaft Babylonien, S. 245.

٢ J. Obermeyer, Die Landschaft Babylonien, S. 254.

٣ Kethuboth 51b.

٤ J. Obermeyer, Die Landschaft Babylonien, S. 255.

٥ Grätz, Geschichte der Juden, IV, S. 295.

٦ الطبري (٢/٢٧) .

٧ اليعقوبي (١/١٦٩) ، المعارف (٢٨١) .

جزاني ، لا جزاه الله خيراً سليمة ، إنه شراً جزاني
أعلمه الرمايـــة كل يوم فلما اشتد ساعده رمـــاني

فلما قال هذين البيتين فاظ أي مات ، وهرب سليمة . هرب الى عمان[1] .

وحكم بعد (مالك بن فهم) أخوه (عمرو بن فهم) على رواية[2] ، و(جذيمة الأبرش) المعروف بجذيمة الوضاح أيضاً على رواية أخرى . ولا نعرف من أمر (عمرو) هذا شيئاً يستحق الذكر .

وتزعم رواية أن الذي حكم بعد(مالك بن فهم) هو (جذيمة الأبرش)، وقد جعلته ابناً لمالك ، وجعلت نسبه على هذه الصورة : (جذيمة بن مالك بن فهم ابن غانم بن دوس بن عدنان بن عبدالله بن الغوث) . وقالت : إن والده(مالك) هو أول من ملك الضاحية في حكم ملوك الطوائف[3] .

أما حظ جذيمة الأبرش ، فهو خير من حظ الرجلين السابقين عند الأخباريين، فله في رواياتهم شعر وحديث . وقد تحدثوا عنه ، ونسبوا اليه الغزوات ، وجاد عليه بعض الرواة فرفعوا زمانه وجعلوه في العاربة الأولى . جعلوه من بني (وبار ابن أميم بن لوذ بن سام بن نوح) ، وصيّروه (من أفضل ملوك العرب رأياً، وأبعدهم مغاراً ، وأشدهم نكاية ، وأظهرهم حزماً . وأول من استجمع له الملك بأرض العراق ، وضم اليه العرب ، وغزا بالجيوش)[4] ، وذكر (المسعودي) انه أول من ملك الحيرة[5] .

وقد وصفوه أيضاً ، فقالوا : إنه (كان به برص ، فكنّت العرب عنه ، وهابت العرب أن تسميه به ، وتنسبه اليه ، إعظاماً له . فقيل : جذيمة الوضاح وجذيمة الأبرش)[6] . وذكر (المسعودي) أن جذيمة هو صاحب النديمين اللذين

---

١ حمزة (٦٤) ، الاشتقاق (٣١٧) .
٢ الحيرة (١١٨) ،
٣ الطبري (٦١٢/١) ، (دار المعارف) ، البلدان (٣٧٩/٣) ، مفاتيح العلوم ، للخوارزمي (ص ٦٨) .
٤ الطبري (٢٩/٢) ، البلدان (٣٧٩/٣) ، أسماء المغتالين ، لمحمد بن حبيب ، (نوادر المخطوطات) ، (ص ١١٢) .
٥ مروج (١٦/٢) .
٦ الطبري (٢٩/٢) ، الكامل (١٣٦/١) ، الاشتقاق (٢٩١/٢) .

يضرب بهما المثل ، واستشهد على ذلك بشعر لـ (متمم بن نويرة اليربوعي) في مرثيته لأخيه مالك بن نويرة :

وكنّا كندمانَيْ جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا[1]

وقد ذُكر ان النديمين المذكورين هما : مالك وعقيل ، وهما ابنا (فرج بن مالك) من (بلقين) ، وكانا قد قدما من الشام ، يريدان جذيمة، فوجدا فتىً قد تلبد شعره ، وطالت أظافره ، وساءت حاله ، أسرع نحوهما يرجو الطعام والرعاية ، فلما سألاه عن حاله ، وتبين لهما انه (عمرو بن عدي) ، سرّا به كثيراً ، وعُنيا به ، وأخذاه معهما الى (جذيمة) ، فلما رآه ، فرح به فرحاً كبيراً ، لعودته اليه ، ونظر اليه ، ثم أعاد عليه الطوق ، وكان جذيمة قد صنعه له قبلاً ، ثم قال : « كبر عمرو عن الطوق » . وكان الجن قد استطارته ، أي خطفته . وقال جذيمة لمالك وعقيل : ما حكمكما، أي ما طلبكما ! قالا حكمنا منادمتك . فأصبحا يضرب بهما المثل[2] .

وذكر (المسعودي) ان كنية (جذيمة) التي عرف بها هي (أبو مالك) ، وروى في ذلك شعراً ، زعم ان قائله هو سويد بن كاهل اليشكري :

ان أذق حتفي ، فقبلي ذاقه طسم وعاد وجديس ذو السبع
وأبو مالك القَيْل الذي قتلته بنت عمرو بالخدع[3]

وذكر الأخباريون ان جذيمة غزا طسماً وجديساً،غزاهم في منازلهم من (جوّ) وما حولهم . فأصاب (حسان بن تبع أسعد أبي كرب) ، وقد اغار على طسم وجديس باليمامة ، فانكفأ جذيمة راجعاً بمن معه ، وأتت خيول تبع على سرية لجذيمة ، فاجتاحتها وبلغ جذيمة خبرهم ، فقال في ذلك شعراً دوّن منه الطبري

---

١ التنبيه (١٥٨ وما بعدها) ، ابن قتيبة ، عيون الاخبار (٢٧٤/١) ، الروض الانف (٣٠٣/٢) .

٢ الكامل ، لابن الاثير (١٩٧/١) ، التنبيه (١٥٨ وما بعدها) ، (أنا شهدت ندماني جذيمة : مالكا وعقيلا ، وصبحتهما الخمر المشعشعة لما وجدا عمرو بن عدى ، فكنت اصرف الكأس عنه) ، رسالة الغفران (٢٧٨) .

٣ مروج (١٦/٢) ، (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) .

احد عشر بيتاً . وقد أراد ابن (الكلبي) ان يكون حذراً في هذه المرة ، أو ان يظهر نفسه في مظهر الحذر الناقد ، فقال : « ثلاثة ابيات منها حق ، والبقية باطل »[1] . وجميل صدور هذا الحذر من الطبري ، او من ابن الكلبي ، وقد عوّدانا سرد ابيات من الشعر العربي ، نسباها الى من هو اقدم عهداً من جذيمة ولم يذكرا انه باطل ، او ان فيه حقاً وباطلاً .

وفي جملة ما تحدث به الأخباريون عن جذيمة انه تكهن وتنبأ ، وانه اتخذ صنمين يقال لهما الضيزنان ، وضعهما بالحيرة في مكان معروف، وكان يستسقي بهما ويستنصر بهما[2] . فلم يقنع الأخباريون بالحديث عن ملك جذيمة وحده ، فأضافوا اليه التنبؤ والكهانة وعبادة الأصنام .

وذكر بعض أهل الأخبار ان (جذيمة بن مالك بن فهم) وهو جذيمة الأبرش كان ينزل الأنبار ويأتي الحيرة ثم يرجع . وكان لا ينادم أحداً ذهاباً بنفسه ، وينادم الفرقدين . فإذا شرب قدحاً ، صب لهذا قدحاً ولهذا قدحاً ، وهو أول من عمل المنجنيق ، وأول من حذيت له النعال ، وأول من رفع له الشمع[3] . بقي على ذلك حتى نادمه مالك وعقيل[4] ، الى غير ذلك من أقوال وروايات عنه. وهي تدل على انه كان قد ترك أثراً في المجتمع في ايامه غير أثر الملك ، مما حدا بالقوم أن يضعوا هذه الأقوال فيه .

واشتهر (جذيمة) عند أهل الأخبار بفرس له ، ذكر انها كانت من سوابق خيل العرب ، اسمها (العصا) . وفيها ورد في المثل : « إن العصا من العصية » . وقد نجا (قصير بن سعد اللخمي) على فرسه هذه ، فأخذ بثأره وقتل (الزباء) على زعم أهل الأخبار .

وهم يروون أن جذيمة كان يغازي إياداً النازلين بـ (عين أباغ) ، فذكر له اسم غلام من لخم في أخواله من إياد ، هو عديّ بن نصر ، له جمال وظرف، فغزاهم . فبعثت إياد قوماً سقوا سدنة الصنمين الخمر ، وسرقوا الصنمين، فأصبحا

---

١ الطبري (٢/٢٩) .
٢ الطبري (٢/٢٩) ، اليعقوبي (١/١٦٩) ، الكامل ، لابن الاثير (١/١٩٦) .
٣ المعارف (٢٨١) ، « ويذكر أيضا أنه أول من أوقد الشمع » ، الروض الانف (٢/٣٠٣) .
٤ اللسان (١٥/٦٨) ، (عصا) ، الخيل لابن الكلبي (٣١) ، نوادر المخطوطات (١٩٩) .

في إياد . فبعثت اليه تفاوضه على ارجاع الصنمين اليه على أن يكف عن غزوهم، ولكنه اشترط عليهم اعطاءه عدي بن نصر مع الصنمين ، فوافقوا على ذلك . فانصرف عنهم وضم عدياً اليه ، وولاه شرابه . ويدعون انه تزوج اخته (رقاش) التي أحبته فيما بعد ، في قصه يروونها ، ومن هذا الزواج المزعوم كان (عمرو ابن عدي) ابن أخت جذيمة الذي خلف خاله على الملك[1] .

وفي رواية من روايات الأخباريين ان جذيمة زوّج اخته من ابن عمه :(عدي ابن ربيعة بن نصر) ، فولدت له (عمرو بن عدي) الذي استطار به الجن[2] .

وفي جملة ما نسبه أهل الأخبار الى جذيمة من حروب حربه مع (عمرو بن الظرب بن حسّان بن أذينة بن السميدع بن هوبر العملقي) (العمليقي) من عاملة العماليق . وعمرو هذا هو أبو الزباء عند الأخباريين . ويذكر هؤلاء أن الطرفين استعدا للقتال استعداداً كبيراً،فجمعا كل ما امكنهما جمعه . ولما اصطدما، قُتل عمرو ، فانهزم أصحابه ، وعاد جذيمة بعد هذا النصر الى قواعده سالماً . ولم يشر الطبري الى اسم الموضع الذي وقع فيه هذا القتال . وملك من بعد (عمرو) ابنته الزبّاء[3] .

أما ملك جذيمة ، فكان على حد قول الأخباريين ما بين الحيرة والأنبار وبقّة وهيت وناحيتها وعين التمر وأطراف البر الى الغمر والقطقطانة وخفية وما والاها[4] ورقة وسائر القرى المجاورة لبادية العرب . ويفهم من بعض الروايات أيضاً انه ملك معدّ وبعض اليمن[5] . وكانت داره بالموضع المعروف بـ (المضيق) بالمصيرة بين الخانوقة وقرقيسيا[6] .

---

١ الطبري (٢/٣٠ وما بعدها) ، الكامل ، لابن الاثير (١/١٩٦) ، ابن خلدون (القسم الاول) ، المجلد الثاني (٥٤٢ ، ٥٨٦ ، ٦٢٦) ، العقد الفريد (٥/٢٦٠) ، الحموي ، المشترك (٣١٩) ، الهمداني ، صفة (١٧٨) ، مراصد الاطلاع (٢/٩٧٦) .

٢ الاخبار الطوال (٥٦) .

٣ الطبري (٢/٣١) ، الكامل ، لابن الاثير (١/١٩٩) ، مروج (٢/٩٠ وما بعدها) ، نوادر المخطوطات ، (أسماء المغتالين) (ص ١١٢ وما بعدها) ، الاغاني (١٤/٧١) .

٤ الطبري (٢/٢٩) ، بلوغ الارب (٢/١٧٥) ، محمد بن حبيب ، أسماء المغتالين (نوادر المخطوطات) ، (١١٢) .

٥ حمزة (٦٤) .

٦ البلدان (٣/٣٧٨) .

اما الأنبار ، فقد تحدثت عنها . وهي —على ما يظهر من روايات الأخباريين— من المواضع التي كان يخضع اعرابها في الغالب لحكم اللخميين . واما بقة ، فتقع على الفرات بين هيت والأنبار . وأما هيت ، فهي من المواضع القديمة المعروفة قبل الميلاد، وقد ورد اسمها في نص (توكلتي أنورتا الثاني) (Tukulti Enurta II) الذي يعود عهده الى حوالى سنة ٨٨٥ قبل الميلاد[١] . وقد عرفت بـ (ايد) (Id) و (ايت) (It)[٢] . وهي (ايس) (اس) (Is)[٣] و (ايس بوليس) (اسبولسي) (Ispolis) (Ispoolis)[٤] و (ايديكاره) (Idikara)[٥] و (دياكيرة) (Diakira)[٦] في مؤلفات الكلاسيكيين . و (ايهي) (Ihi) و (ايهيداكيرة) (Ihidakira) في مؤلفات عصر التلمود[٧] .

وفي بقة استشار جذيمة قصيراً على حد قول الأخباريين في أمر زيارته للزباء[٨] . وتقع بقة على مقربة من الحيرة . وقيل هي حصن كان على فرسخين من هيت على رواية ياقوت[٩] . وقد جعلها (اليعقوبي) على شط الفرات بالقرب من الأنبار وفي ملك الزباء[١٠] . وهي على الفرات بين الأنبار وهيت ، في رواية أكثر الأخباريين[١١] .

وأما القطقطانة ، فموضع في البرية لا يبعد كثيراً عن الكوفة، وهو بالطف[١٢] .

وأما خفية ، فهي أجمة في سواد الكوفة ، بينها وبين الرحبة ، ينسب اليها

---

١ Scheil and Gautier, Annales de Takulti Ninip II, Roi D'Assyrie, 889-884, Paris, 1910, P. 38, Ency., II, P. 322, Musil, Euphrates, P. 350.

٢ Musil, Euphrates P. 350.

٣ Heradotus, I, 179.

٤ Isidore of Charax, Mansiones Parthiace, (Muller), P. 249' (ايوبوليس) ، المشرق ، السنة ١٩٠٣ ، العدد ١٠ ، (ص ٤٤٠) .

٥ Ptolemy, Geography, V. 19, 4.

٦ Ammianus Marcellianus, Rerum, XXIV, 2, 3, Zosimus, III, 15.

٧ Musil, Euphrates, P. 350.

٨ (ببقة خلفت الرأي) ، البلدان (٢/٢٥٣) ، الطبري (٢/٣٧ وما بعدهـا) ، (كما لم يطع فيما أشار قصير) ، رسالة الغفران (٥٣٣) .

٩ البلدان (٢/٢٥٣) ، الطبري (٢/٣٢) .

١٠ اليعقوبي (١/١٦٩) .

١١ البكري ، معجم (١/٢٦٤ وما بعدها) ، مراصد الاطلاع (١/١٦٦) ، البلدان (١/٤٧٣) ، Musil, Euphrates, P. 160.

١٢ البلدان (٧/١٢٥) .

الأسود المعروفة بأسود خفية ، وهي غربي الرحبة،ومنها الى عين الرهيمة مغرباً . وقيل أيضاً عين خفية[1] .

وقد اشتهرت (عين التمر) القريبة من (شفاثا) بالقصب والتمر،وهي على طرف البادية . فتحها المسلمون على يد (خالد بن الوليد) في سنة ١٢ للهجرة في ايام أبي بكر[2] .

وقد طال عمر جذيمة على حد قول (حمزة الأصبهاني) الى ان لحق ملك (سابور بن أشك الأشغاني) (شابور بن أشك) ، وحكم على حد قوله أيضاً ستين سنة . أما نهايته ، فكانت على يد الزباء في قصة مشهورة معلومة ، رصّعها الأخباريون بشعر وأمثلة[3] ، تحدثت عنها في أثناء كلامي على الزباء . وجعل بعضهم مدة حكمه مئة وثماني عشرة سنة ، اذ ملك في زمن ملوك الطوائف خمساً وتسعين سنة ، وفي ملك أردشير بن بابك وسابور الجنود ثلاثة وعشرين سنة[4] . وملك يحكم هذه المدة لا بد أن تكون مدة حياته أطول من مدة حكمه .

وذكر (أبو حنيفة الدينوري) ان جذيمة لم يزل ملكاً مقيماً بالخورنق ، حتى دعته نفسه الى تزويج (مارية) ابنة الزباء الغسانية . وكانت ملكة الجزيرة ، ملكت بعد عمها الضيزن الذي قتله (سابور) ، فقتلت جذيمة ، ثم قتلها قصير مولاه[5] . فجعل الملكة القاتلة بنتاً من بنات الزبّاء عينها ، فدعاها مارية ، وبذلك أنقذ الزبّاء من تهمة القتل التي ألصقها الأخباريون بهذه الملكة ، وجعلها ملكة على الجزيرة ، وجعل نسبها في غسّان ، وغسّان معادون منافسون لآل لخم ، ثم أبى إلاّ أن يجعل لجذيمة قصراً منيفاً ، فوقع اختياره على الخورنق ، وهو قصر لائق أن يكون قصر ملك ، وخالف في ذلك رأي الأخباريين الذين ينسبون هذا القصر الى ملك آخر هو النعمان .

وقد جاء اسم (جذيمة) (جديمت) في نص نبطي ويوناني عثر عليه في

---

١ البلدان (٣/٤٥٢) .
٢ البلدان (٦/٢٥٣) .
٣ حمزة (٦٤ وما بعدها) ، البلدان (٣/٣٧٩) ، الكامل ، لابن الاثير (١/١٩٩) الطبري (١/٤٤٨) .
٤ مروج (٢/٩٠ وما بعدها) ، الروض الانف (١/٢٠) .
٥ الاخبار الطوال (٥٦) .

(أم الجمال) ، جاء فيه : (هذا موضع أي قبر فهر بن شلي (سلي) مربي جذيمت ملك تنوح) . ولهذا النص على قصره أهمية بالغة ، لأنه يشير الى الصلة التي كانت بين الأسرة الحاكمة في الحيرة وعرب الشام[1] . ومن الصعب بالطبع استنتاج كيفية وفاة مربي الملك في هذا الموضع : أكان زائراً هذه الديار فأدركه أجله فقبر هناك ! أم جاء مع سيده في حرب فتوفي في ذلك المكان ! مهما يكن من شيء ، فقد أفادنا الحجر فائدة كبيرة بتدوينه اسم صاحب القبر ، واسم جذيمة ملك (تنوح) تنوخ .

ويلاحظ أن النص دوّن اسم (جذيمة) بحرف (الدال) وكتب اسم (تنوخ) بحرف الحاء (تنوح) بدلاً من الخاء . ويكون هذا النص من أقدم النصوص التي ورد فيها اسم (تنوخ) . ويرجع عهده الى حوالي السنة (٢٧٠) بعد الميلاد[2].

وجعل (ابن دريد) لجذيمة نسلاً ، سماهم (بني جهضم) ، وجعل لفظة (جهضم) من (التجهضم) ، ومعناها التكبير[3] .

وذكر (حمزة الأصفهاني) أنه لم يلد لجذيمة غير (زينب بنت جذيمة) ، وهي أم مرثع . واسمه (عمرو بن معاوية بن كندة) ، فغزا في آخر عمره الشأم، فقتل (عمرو بن ظرب بن حسان بن أذينة) ملك العمالقة والد الزبّاء ، فانطوت له الزبّاء على طلب الثأر حتى قتلته[4] .

وانتقل الملك بعد وفاة جذيمة الى ابن أخته (عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن الحارث بن مسعود بن مالك بن غنم بن نمارة بن لخم)[5] . أما أمه ، فهي أخت جذيمة ، وهي : (رقاش بنت مالك بن فهم بن غنم بن عدثان) على رواية من ينسب مالك بن فهم الى عدثان[6] .

---

١ Rep. Epig., 1097, II, III, P. 373, Enno Littmann, Nabataish-Griechische Bilinguen, In Le Florilegium Melchior de Vogue, P. 375, Die Araber, II, S. 251.

٢ Die Araber, I, S. 193, Altheim-Stiehl, Geschiche der Hunnen, I, S. 151, 154.

٣ الاشتقاق (٢/٢٩٢) .

٤ حمزة (٦٥) .

٥ الطبري (٢/٣٠ وما بعدها) ، معجم الشعراء (٢٠٥) ، الاغاني (١٤/٧٢) ، رسالة الغفران (٢٧٨) ، فرائد اللال (٢/١٠٨) .

٦ حمزة (٦٥) ، مروج (٢/٩٢) ، (محمد محيي الدين عبد الحميد) ، التنبيه (١٥٨) ، نزهة الجليس (٢/٥٩ وما بعدها) .

ويلاحظ أن (الطبري) لم يكن مستقراً في موضوع اسم (عدي) والد عمرو، إذ يجعله (نصراً) في موضع ، فيقول (عدي بن نصر بن ربيعة)[1] ، ويجعله (ربيعة) في موضع آخر ، فيقول : (عدي بن ربيعة بن نصر)[2] . ويظهر ان ذلك انما وقع له بسبب أخذه من روايات مختلفة ، وعدم تدقيقه ونقده لتلك الروايات .

ويفهم من رواية يرجع (الطبري) سندها الى (ابن حميد) عن (سلمة) عن (ابن اسحاق) ان زمان حكم (ربيعة بن نصر اللخمي) كان بين ملك (تبان أسعد ابو كرب) وملك ابنه (حسان بن تبان أسعد)[3] . والرواية مضطربة مشوشة ، يفهم منها ان (ربيعة بن نصر) كان نفسه قد حكم اليمن في الفترة الواقعة بين (تبان أسعد) وبين حكم ابنه (حسان) ، وان (حسان) هذا لم يتمكن من الحكم الا بعد هلاك (ربيعة بن نصر)[4] . ويزيدها اضطراباً وتشويشاً ذكر (الطبري) رواية الرؤيا التي رآها (ربيعة بن نصر) وعرضها على (سطيح) و (شق) لتفسيرها له ، وما كان من جوابهما له في تفسيرها ، حيث (وقع في نفسه ان الذي قالا له كائن من امر الحبشة ، فجهز بنيه وأهل بيته الى العراق بما يصلحهم ، وكتب لهم الى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاذ، فأسكنهم الحيرة،فمن بقية ربيعة بن نصر ، كان النعمان بن المنذر ملك الحيرة)[5] . فيتبين منها ان (ربيعة بن نصر) كان مقيماً باليمن ، وقد أقام بها حياته، وان بنيه هم الذين ذهبوا الى العراق . ولكنها لم تشرح كيف وجد (ربيعة) في اليمن وكيف حكمها وهو من لخم ؟ وهي رواية شاذة ، دسها بعض المتعصبين لليمن — على ما يظهر — على (ابن اسحاق) ، فدوّنها في أخباره . وقد دست أخبار وأشعار على ابن اسحاق ، فرواها وصدّق بها من غير نقد ولا تحقيق . وللعلماء رأي فيه .

ويزعم بعض أهل الأخبار ان (سطيحاً) و (شقاً) أخبرا (ربيعة بن نصر)

---

١ الطبري (١/٦١٤ ، ٦٢٧) ، (دار المعارف) .
٢ الطبري (٢/٦١ ، ١١٢) ، (دار المعارف) .
٣ الطبري (٢/٦١ ، ١١١ وما بعدها) ، (دار المعارف) .
٤ (فكل هؤلاء ملكه قبل ملك ربيعة بن نصر اللخمي ، فلما هلك ربيعة بن نصر ، رجع ملك اليمن كله الى حسان بن تبان أسعد الطبري (٢/١١٢ ، ١١٥) .
٥ الطبري (٢/١١٤) .

في تأويلها لرؤيا بما يكون من غلبة الحبش على أرض اليمن،وبغلبة الفرس بعدهم. فلما سمع بذلك ، أوجس في نفسه خيفة ، فأحب ان يخرج ولده وخاصة اهله من ارض اليمن ، فوجه ابنه عمراً الى يزدجرد بن سابور،أو الى سابور ذي الأكتاف ، فأنزله الحيرة ، فيومئذ بنيت ، فضم عمرو اليه اخوته وأهل بيته ، فمن هناك وقع آل لخم الى الحيرة ، واتصلوا بالأكاسرة فجعلوا لهم على العرب سلطاناً ، فلما مات خلفه من بعده ابنه (جذيمة بن عمرو)[1] .

وزعم (الدينوري) ان وفاة ربيعة بن نصر كانت في أيام (قباذ بن فيروز) وانه بوفاته رجع الملك الى حمير ، فملك ذو نواس من بعده ، وهو ذو نواس صاحب تعذيب نصارى نجران نفسه . فأرجع ايام ربيعة الى قباذ (قباد) ، وهو قول يخالف ما يرويه الأخباريون[2] . وجعل ذا نواس المالك من بعده ، وقد عاش ذو نواس بعد قباذ أمداً ، فخالف في ذلك التأريخ وأقوال الأخباريين .

ووصف (الطبري) عمرو بن عدي،فقال عنه : (هو أول من اتخذ الحيرة منزلاً من ملوك العرب ، وأول من مجده أهل الحيرة في كتبهم من ملوك العرب بالعراق ، واليه ينسبون ، وهم ملوك آل نصر ، فلم يزل عمرو بن عدي ملكاً حتى مات وهو ابن مائة وعشرين سنة ، منفرداً بملكه ، مستبداً بأمره ، يغزو المغازي ويصيب الغنائم ، وتفد عليه الوفود دهره الأطول ، لا يدين للملوك الطوائف بالعراق ، ولا يدينون له ، حتى قدم أردشير بن بابك في أهل فارس)[3] .

وذكر الطبري أن الحيرة خربت بعد هلاك بختنصر ، لتحول الناس عنها الى الأنبار ، وبقيت خراباً الى أن عمرت في زمن عمرو بن عدي ، باتخاذه إيّاها منزلاً[4] .

وثمّ رواية تنسب نصراً الى الساطرون ملك الحضر[5] ، وتجعل آل نصر من الجرامقة ، من (رستاق باجرمي)[6] ، ورواية أخرى تجعل ملوك الحيرة من

---

١ الاخبار الطوال (٥٦) .
٢ الاخبار الطوال (٦٢ وما بعدها) .
٣ الطبري (١/٦٢٧) ، (دار المعارف) ، حمزة (٦٥) ، مفاتيح العلوم ، للخوارزمي (٦٨) .
٤ الطبري (٢/٤٣) ، (دار المعارف) .
٥ Rothstein, S. 42.
٦ (وهو جرمقاني من أهل الموصل من رستاق يدعى باجرمي) ، معجم الشعراء ، (٢٠٥) ، Rothstein, 42.

(أشلاء قنص بن معد) . فقد ذكر أن (عمر بن الخطاب) لما أتى بسيف النعمان بن المنذر ، دعا جبير بن مطعم فسلمه إياه ، ثم قال: يا جبير ، ممن كان النعمان ؟ قال : من اشلاء قنص بن معد . وهو من ولد عجم بن قنص ، إلا ان الناس لم يدروا ما عجم ، فجعلوا مكانه لخماً ، فقالوا هو من لخم ونسبوا اليه[1] . وكان جبير من أنسب العرب[2] . والذي عليه اكثر أهل الأخبار ان (آل نصر) هم من اليمن ، كانوا قد تركوا اليمن وهاجروا حتى استقروا بالعراق ، ونزلوا الحيرة ، وأسسوا ملكهم بها[3] .

ويذكر الأخباريون ان عمراً انتقم من الزباء لقتلها جذيمة ، ورووا في ذلك رواياتهم المرصعة بالشعر والأمثال[4] . وهي روايات لا تستند الى اسس تاريخية ، اذا قصدوا بذلك الزباء ملكة تدمر التي عرفنا تأريخها ونهايتها في مكان آخر من هذا الكتاب .

وجعل (الدينوري) مدة حكم (عمرو بن عدي) نيفاً وستين سنة[5] .

وتولى الملك بعد وفاة عمرو ابنه امرؤ القيس . ويقال له امرؤ القيس البدء وامرؤ القيس الأول . أما امه ، فهي ماوية بنت عمرو اخت كعب بن عمرو الأزدي على رواية حمزة[6] . وقد عاصر جملة من ملوك الفرس ، هم : سابور ابن أردشير (شابور بن أردشير)[7] ، وهرمز بن سابور ، وبهرام بن هرمز ، وبهرام بن بهرام ، وبهرام بن بهرام بن بهرام ، ونرسى بن بهرام بن بهرام ، وهرمز بن نرسى ، وسابور ذو الأكتاف على رواية تجدها مدونة في تأريخ حمزة. وجعل مدة ملكه مئة واربع عشرة سنة ، وهي مدة تتفق مع ما ذكره الطبري حكاية على لسان ابن الكلبي .

---

١ الروض الانف (١/١٨) .
٢ الجاحظ ، البيان (١/٣٠٣) .
٣ مفاتيح العلوم (٦٨) .
٤ الطبري (٢/٣٥) ، الكامل (١/١٣٧) ، الاغاني (١٤/٧٣) ، الامثال ، للميداني (١/١٥٨ ، ٢٤٦) ، ابن دريد ، المقصورة (١٧) ، مروج (٢/١٧ وما بعدها) ، حمزة (٥٨) .
٥ المعارف (٢٨٢) .
٦ حمزة (٦٦) .
٧ الطبري (٢/٦٤) ، حمزة (٦٧) .

غير اننا اذا ما وازنّا بين ما ذكره الطبري حكاية على لسان ابن الكلبي في عدد ملوك الفرس الذين حكم (امرؤ القيس) في ايامهم ، وفي مدة حكمه في عهد كل ملك من هؤلاء الملوك[1] . وبين ما ذكره حمزة نجد اختلافاً في العدد واختلافاً في المدة ، مما يدل على ان حمزة نقل من مورد آخر يختلف عن مورد الطبري[2] .

وإذا كانت مدة حكم امرؤ القيس على نحو ما ذكره ابن الكلبي وغير ابن الكلبي من رواة ، فكم تكون مدة حياة هذا الملك ؟ إنهم لم يعينوا هذه المدة ، ولكنها مدة تزيد بالطبع على هذه السنين في نظر أصحاب تلك الروايات ، ولِمَ لا تطول ؟ وقد ساروا على خطة اطالة أعمار الملوك الأولين ، فلك يتجاوز حكمه مئة عام بسنين أمر لا بأس به في نظر هؤلاء الرواة .

غير اننا نلاحظ انهم بخلوا على الملوك المتأخرين ، فلم يمنحوهم هذه النعمة ، نعمة إطالة مدة الحكم او مدة العمر ، فجعلوا لهم مدداً مقبولة في الغالب معقولة . ولو عاش هؤلاء المتأخرون في زمن بعيد عن اولئك الرواة ، بعيد عن ايام تدوين اخبار ملوك الحيرة ، لما حرمهم الأخباريون كرمهم هذا ، ولأعطوهم ولا شك ما اعطوه من سبقهم من الملوك جملاً من السنين .

وقد نعت امرؤ القيس في بعض الروايات بـ (المحرق)[3] ، ونعت ايضاً بـ (محرق الحرب)[4] . وتصادف كلمة المحرق ومحرق وآل محرق في مواضع من التواريخ المتعلقة بالحيرة . وقد اطلقها بعض الأخباريين على الغساسنة ايضاً[5] . وهم يرون انها لقب أُلحق بأولئك الملوك ، لأنهم عاقبوا اعدائهم في اثناء غزوهم لهم بحرق أماكنهم بالنار . ويرى (روتشتاين) انه تفسير لظاهر الكلمة ، وهو تفسير مغلوط . والصحيح في نظره انها اسم علم لأشخاص عرفوا بمحرق ، ولذلك قيل (آل محرق) لا (آل المحرق)[6] .

---

١ الطبري (٢/٦٥) .
٢ حمزة (٦٧) .
٣ المعارف (٢٨٢) .
٤ Rothstein, S. 64.
٥ (ومحرق أيضا : لقب الحرث بن عمرو ملك الشام من ال جفنة ، وانما سمي بذلك لانه أول من حرق العرب في ديارهم ، فهم يدعون ال محرق) ، اللسان (حرق) .
٦ Rothstein, S. 47.

وفي أصنام الجاهليين صنم يدعي محرق والمحرق ، تعبدت له بعض القبائل مثل بكر بن وائل وربيعة في موضع (سلمان)[1] . وقد ورد بين أسماء الجاهليين اسم له علاقة بهذا الصنم ، هو عبد محرق[2] ، أفلا يجوز أن يكون للمحرق إذن علاقة بهذا الصنم، كأن يكون قد اتخذ من باب التيمن والتبرك للملك الذي عرف بالمحرق أو أنه قدم قرباناً لهـذا الإلـه أحرقه على مذبحه بالنار ، وكان يكثر من حرق القرابين للآلهة ، وتلك عادة معروفة وقد وردت أيضاً عند العبرانيين ، فقيل له لذلك المحرق ؟ والى هذا الاحتمال ذهب بعض المستشرقين[3] .

ويظهر أن محرقاً كان من الشخصيات الجاهلية القديمة الواردة في الأساطير ، وقد اقترن اسمه بالدروع . وورد (بردي محرق) كما اقترن اسمه بـ (نسيج داوود) ، مما يدل على أن هـذا الاسم من الأسماء المعروفة قديماً في أساطير الجاهليين[4] .

وقد ورد أيضاً صوت محرق وفرخ محرق[5] ، وذلك يدل على أن (محرقاً) في هذا الموضع حيوان قد تكون له علاقة أيضاً بأساطير الجاهليين[6] .

ومما حكاه الأخباريون عن هذا الملك انه كان قد تنصر ، وانه لذلك أول من تنصر من آل نصر[7] . وهو أمر يحتاج الى دليل، كما ذكروا أن ملكه كان واسعاً وانه كان عاملاً للفرس (على فرج العرب من ربيعة ومضر وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة)[8] .

ويظن بعض الباحثين ان امرأ القيس ، هو امرؤ القيس الذي ورد اسمه مدوناً في نص (النمارة) . فإذا كان هذا الظن صحيحاً ، كان امرؤ القيس أول ملك من ملوك الحيرة يصل خبره الينا مدوناً ، وكذلك خبر تأريخ وفاته في سنة ٣٢٨

---

١ J. Wellhausen, Reste Arabischen Heidentums, S. 57.
٢ Rothstein, S. 48.
٣ Reste, S. 57.
٤ Rothstein, S. 49.
٥ الاغاني (٨/٦٥) .
٦ Rothstein, S. 49.
٧ الطبري (٢/٦٥) ، ابن خلدون (٢/٢٦٣) .
٨ الطبري (٢/٦٤ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢/١٧١) .

للميلاد ، المقابلة لسنة ٢٢٣ من تقويم بصرى ، التقويم المعمول به في تلك الجهات التي قبر فيها امرؤ القيس[1] .

ويظهر من نص النمارة ان امرأ القيس صاحب القبر ، كان رجلاً محارباً ، وقائداً كبيراً ، أخضع قبيلتي أسد ونزار ، وهزم مذحجاً ، وأخضع معداً ، ووزع بنيه في القبائل ، وبلغت فتوحاته أسوار (نجران) مدينة (شمر) . وهو بهذه الفتوحات قد تمكن من معظم أنحاء الجزيرة . وهذا النص يناقض الروايات التي تنسب الفتوحات العظيمة الى (شمر يهرعش) (شمر يرعش) ، فتجعله فاتح العراق وما وراء العراق الى الصين ، وتعكس القضية عكساً تاماً . وروايات فتوحات (شمر) ، هي روايات يمانية وضعها أناس متعصبون لليمن ولا شك .

وقد سبق لي أن بينت ان المستشرقين يرون ان (شمراً) المذكور في هذا النص أي صاحب (نجران) ، هو (شمر يهرعش) (شمر يرعش) . وقد ذكرته في باب (ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) . ومعنى هذا ان (نجران) كانت في ملكه يوم أغار (امرؤ القيس) عليها فوصل أسوارها ، ويظهر انه لم يتمكن منها وانه فرض سلطانه على القبائل الساكنة في البادية ، فاعترفت بسيادته عليها . ولهذا لقب في النص بلقب (ملك العرب كلهم الذي نال التاج) ، وختمت الكتابة بجملة « فلم يبلغ ملك مبلغه » ، وهي جملة تعبر عن اتساع ملكه وامتداده مسافات شاسعة .

ويظهر من ورود كلمة (التبع) أي التاج في هذا النص ان هذه الكلمة كانت معروفة عند العرب الشماليين في ذلك الحين ، أي في القرن الرابع للميلاد ، وانها وردت بالمعنى المفهوم منها في الزمن الحاضر، أي ما يوضع على الرأس تعبيراً عن الملك والحكم .

ويفهم من هذا النص أن (امرأ القيس) كان قد بسط سلطانه على كل العرب ، أي الأعراب ، فملكهم وملك خاصةً (بني نزار) و (أسد) وقبائل (معدّ) ، وأنه نصب أولاده على القبائل ليضمن طاعتها وخضوعها له ، وأن

---

١ François Nau, Les Arabes Chrestiens, P. 32, Réné Dussaud, Arabes en Syrie avant L'Islam, Paris, 1907, P. 35, REP. EPIG., I, (1900-1905), 361, NR. 483, R. Dussaud, Mission, 314, J. Cantineau, Le Nebatéen, 1932, 49, Die Araber, II, S. 313.

سلطانه بلغ بذلك حدود أرض اليمن . فامتد حكمه إذن من الحيرة وبلاد الشام الى نجد والحجاز ، حتى بلغ حدود مدينة (نجران) . وقد كانت منازل (معد) في الحجاز وفي ضمن أرضها (مكة) وتمتد الى (نجران)[1] .

ويظهر من دفن (امرىء القيس) في موضع (النمارة) من بلاد الشأم أن (امرأ القيس) كان في بلاد الشأم حينما نزل به أجله.ويرى بعض الباحثين أنه كان قد جاء الى بلاد الشأم ، لأنه كان من حزب (بهرام) الثالث ومن مؤيديه ، فلما وقع الخلاف بين الفرس على العرش وانتصر (نرسي) (٢٩٣ – ٣٠٢ م) (٢٩٣ – ٣٠٣) ، خرج امرؤ القيس من العراق ، وقصد بلاد الشأم ، فأقام هناك . ومال الى الروم فأيدوه وأقروه على عرب بلاد الشأم ، فيكون قد عمل للفرس وللروم معاً[2] .

وكتابة (النمارة) هي شاهد قبر ملك عربي يدعى (امرأ القيس) ، عثر عليها في موضع (النمارة) وهو في الحرة الشرقية من جبل الدروز ، ويرجع تأريخها الى اليوم السابع من شهر (كسلول) من سنة (٢٢٣) من تقويم (بصرى) أي في اليوم السابع من شهر كانون الأول من سنة (٣٢٨) بعد الميلاد[3] . دوّنت على ضريح الملك ، وهو بناء مربع ، لتكون دليلاً للناس يعرفون منها اسم صاحب القبر . وتتألف من خمسة أسطر ، هذا نصها :

١ – تي نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو اسر التج .
٢ – وملك الاسدين ونزرو وملوكهم وهرب مدحجو عكدى وجا .
٣ – بزجى في حبج نجرن مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه .
٤ – الشعوب ووكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه .
٥ – عكدى . هلك سنة ٢٢٣ يوم بكسلول بلسعد ذو ولده[4] .

---

١ Die Araber II, S. 321.

٢ رينه ديسو ، العرب في سورية قبل الاسلام (ص ٣٦ وما بعدها) .
Die Araber, II, S. 319.

٣ REP. EPIG., I, VII, P. 361, No. 483, Syria, Tome, IV, 1923, P. 154.

٤ ولفنسون (١٩٠) ، زيدان ، العرب قبل الاسلام (٢٠٣) ، رينه ديسو ، العرب في سورية قبل الاسلام (ص ٣٣) ،
Lidzbarski, Ephemeris, Zweiter Band, Erster Heft, S. 34, REP. EPIG., I, VI, P. 362, Dussaud, Nabatéo-Arabe D'An-Nemara in Rev. Arch., 1902, II, 409-421, Halevy, In Rev. Sém., 1903, P. 58-62, Peiser Die Arabische Inschrift Von En-Nemara in Orientalist. Literatur-Zeitung, VI, 15, Col. 277-281.

وإذا أردنا تقريب هذه الكتابة الى أفهامنا وتدوينها بلهجتنا العربية، لهجة القرآن الكريم ، كتبناها على هذا الشكل :

١ ــ هذا قبر امرىء القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي نال التاج .
٢ ــ وملك الأسدين ونزاراً وملوكهم ، وهزم مذحجاً بقوته وقاد .
٣ ــ الظفر الى أسوار نجران ، مدينة شمر . وملك معدّاً واستعمل أبناءه على
٤ ــ القبائل . ووكلهم لدى الفرس والروم ، فلم يبلغ ملك مبلغه
٥ ــ في القوة . هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول . ليسعد الذي ولده[١] .

وقد استدل المستشرقون من عبارة (ذو أسر التاج) (الذي نال التاج) على أن صاحب هذا التاج هو من الملوك الذين كان لهم اتصال بالفرس، وان المقصود به ملك من ملوك الحيرة ، لوجود صلة لهم بالانبراطورية الفارسية[٢] . ودعواهم في ذلك ان هذه الجملة ، وكلمة (تج) (تاج) هما من الاصطلاحات المستعملة عند الفرس وعند من خالطهم من الملوك ، فلا بـد أن يكون حاملها من الملوك المحالفين لهم . وكلمة (تاج) من الألفاظ المعربة عن الفارسيـة ، من أصل (تاك)[٣] . ولما كان هذا ملكاً عربياً ، فهو اذن امرؤ القيس ملك الحيرة[٤].

---

١ تختلف الترجمات بعضها عن بعض بعض الاختلاف ، بسبب اختلاف العلماء في القراءات ، راجع جواد علي : تأريخ العرب قبل الاسلام (٣/٤٣٧ وما بعدها) ، René Dussaud, Mission, 1903, P. 314-323, R. Dussaud, in Revue Archéologique, 1902, III, Tome 41, PP. 409-421, Les Arabes en Syrie Avant L'Islam, P. 34 Hommel, Grundriss, I, S. 155, Clermont-Ganneau, Recueil D'Archéologie Orient, VI, P. 395, VII, P. 167.

٢ زيدان ، العرب قبل الاسلام (٢٠٣) ، تأريخ العرب قبل الاسلام ، لجواد علي (٣/٤٤١) .

٣ غرائب اللغة (٢٢١) .

٤ Hommel, I, S. 155, De Lagarde, Armen. Stud., 834.

وكان من عمال (سابور بن أردشير) و (هرمز بن سابور) و (بهرام ابن سابور) (على فرج العرب من ربيعة ومضر وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة) في تأريخ الطبري[1] . وورد في تأريخ ابن خلدون نقلاً عن(السهيلي) : ان (امرأ القيس) كان عاملاً للفرس على مذحج وربيعة ومضر وسائر بادية العراق والجزيرة والحجاز[2] . ويظهر ان المورد الذي نقل منه (السهيلي) و(الطبري) يرجع الى منبع واحد ، هو (ابن الكلبي) . وما رواه (ابن الكلبي) يتفق بوجه عام مع ما جاء في نص (النمارة) من أمر ملك وفتوح (امرىء القيس).

و (شمر) صاحب مدينة (نجران) ، هو (شمر يهرعش) في رأي أكثر المستشرقين ، وينطبق زمانه على زمان (امرىء القيس)[3] . واذا صح هذا الرأي نكون قد حصلنا على أول نص عربي جاهلي يشير الى حرب نشبت بين مملكة الحيرة ومملكة (سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) في عهد أول ملك من ملوكها وهو (شمر يهرعش) المعروف بـ (شمر يرعش) عند الاسلاميين .

وفي روايات الأخباريين ما يؤيد نشوب حرب بين عرب الحيرة وعرب اليمن في ايام (شمر يرعش) ، غير انها تناقض هذا المدون في النص عن تغلب (امرىء القيس) على نجران مدينة (شمر) . فـ (شمر) عندها بطل من الأبطال ، فتح الفتوح العظيمة ، وبلغ ملكه حداً لم يصل اليه ملك (اسكندر ذي القرنين) . وعندهم أيضاً انه هو باني مدينة (سمرقند) ، وهو الذي حيّر (الحيرة) . وهو تبع الأكبر وهو وهو ، على حين هو – في هذا النص – ملك مغلوب ، لم يتمكن من الوقوف أمام (امرىء القيس) الذي بلغت جيوشه مدينة (نجران). فهل تجد تناقضاً أغرب من هذا التناقض ؟ على اننا لو فرضنا ان (شمراً) صاحب نجران هو رجل آخر غير (شمر يرعش) ، فهذا النص يهدم بنيان الأخباريين اليمانيين القائم على أساس المبالغة في المفاخرات والمباهاة بالأجداد نكاية بالعدنانيين الذين تعالوا عليهم في الاسلام بفضل النبي وشرف الاسلام،فأحفظهم[4] ذلك جداً .

وقد سبق أن تحدثت عن عثور العلماء منذ عهد غير بعيد على نص أشار الى

---

١ الطبري (٢/٦٤ وما بعدها) .
٢ ابن خلدون (٢/١٧١ وما بعدها) ، (بولاق ١٢٨٤ هـ) .
٣ جواد علي تأريخ العرب قبل الاسلام (٣/١٤١ وما بعدها) .
٤ أغضبهم .

غزو غزاه قائد من قوّاد (شمس) على (ملك أسد) وأرض (تنوخ) التي تخص الفرس ، وذكرت أن (شمر) المذكور هو (شمر يهرعش) في رأي الباحثين[1] . وقد تحدثت عنه حديثاً فيه الكفاية في موضعه ، وفي أثناء كلامي على (شمر يهرعش) ، فلا حاجة بي هنا لإعادة الكلام عليه .

ويرى بعض الباحثين أن (المشتى) الأثر الشهير المعروف الذي نقلت أحجار جدرانه المزخرفة الى متحف (قيصر فريدرش ويلهم) ببرلين ، ولا تزال آثاره باقية ، هو من بناء (امرىء القيس) . وقد استدلوا على ذلك بطراز بنائه الذي يشبه الطراز (الحيري) على رأيهم ، وذهبوا الى أنه أقامه في هذا المكان بعد فراره من أرض الحيرة ومن الساسانيين سنة (٢٩٣ م) ، ليكون قصر له وحصناً يدافع به عن ملكه الجديد[2] .

ويذكر الطبري ان وفاة (امرىء القيس) كانت في عهد (سابور) ، أي سابور ذي الأكتاف (٣١٠ – ٣٧٩ م) ، وأنه كان عامل (سابور) على ضاحية مضر وربيعة ، وان سابور استعمل ابنه عمرو بن امرىء القيس في مكان والده[3] .

وحكم بعد امرىء القيس البدء ابنه عمرو . وامه هند بنت كعب بن عمرو على رواية[4] ، و (مارية البرية) أخت (ثعلبة بن عمرو) من ملوك الغساسنة في رواية أخرى[5] . وكان يعاصر من ملوك الفرس سابور ذا الأكتاف (٣١٠–٣٧٩م) وأخاه (أردشير بن هرمز بن نرسي) (٣٧٩ – ٣٨٣ م) وسابور بن سابور (سابور الثالث) (٣٨٣ – ٣٨٨ م)[6]. وقد نعته بعض الأخباريين بموقد الحرب (مسعر حرب) . وذكروا انه حكم خمساً وعشرين سنة[7] . ونعت الأخباريين له هذا النعت ، يدل على انه كان محارباً،ولكنهم لم يذكروا شيئاً من تلك الحروب .

---

١ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 487.

٢ Die Araber, II, S. 258, 318, 320.

٣ الطبري (٢/٦١ وما بعدها) ، (دار المعارف) .

٤ حمزة (ص ٦٧) .

٥ المروج (٣/١٩٩) ، (٢/٢٣) ، (طبعة دار الرجاء) .

٦ الطبـري (٢/٧٠) .

٧ شرح قصيدة ابن عبدون المعروفة بالبسامة (ص ١٠٠) .

وقد ذهب بعض الأخباريين الى ان مارية التي ضرب المثل بقرطيها فقيل قرطا مارية ، هي مارية هذه ام عمرو[1] .

وقد وضع اليعقوبي بعد امرىء القيس شقيقه الحارث بن عمرو بن عدي ملكاً وجعل مدة ملكه سبعاً وثمانين سنة . ثم وضع عمراً ابن امرىء القيس ملكاً من بعده . وحكم هذا على زعمه مدة أربعين عاماً[2] .

ولا نعرف من أعمال عمرو هذا شيئاً . وللأخباريين في مدة حكمه أقوال عدة تتراوح عندهم من ٢٥ سنة الى ٦٠ سنة[3] . وقد ذكر الطبري ان عمراً (بقي في عمله بقية ملك سابور وجميع أيام أردشير بن هرمز بن نرسي ، وبعض أيام سابور بن سابور) ، ثم قال ان جميع مدة ملكه فيما ذكره ابن الكلبي ثلاثين سنة[4] . واذا أخذنا برواية الطبري المذكورة ، تكون مدة حكمه حوالي الستين سنة ، ومعنى هذا ان عمراً كان قد عمّر أكثر من ستين سنة،وانه توفي بعد وفاة سابور ذي الأكتاف وبعد سنة (٣٨٣ م) ، لأن حكم (سابور بن سابور) المعروف عند المؤرخين بـ (سابور) الثالث كان في حوالي السنة (٣٨٣ م) . فقد تولى سابور هذا الحكم فيما بين (٣٨٣) حتى سنة (٣٨٧) أو (٣٨٨ م)[5] . واذا أخذنا برواية من يقول انه حكم (٢٥) سنة ، أو (٣٠) ، وجب أن تكون وفاته في أيام (سابور ذي الأكتاف) .

وقد جعل الطبري في موضع آخر من تأريخه وفاة (عمرو) في عهد (سابور ابن سابور) ، أي (سابور) الثالث[6] . وبذلك يكون قد أطال مدة حكمه وعمره .

ويذكر الطبري أن (سابور بن سابور) استخلف (على عمله أوس بن قلام في قول هشام) ، وذلك بعد مهلك (عمرو)[7] . ولم يذكر الأسباب التي حملت سابور على هذا التعيين . ويظهر أنه كان من أسرة غريبة عن أسرة (آل لخم)

---

١ البسامة (ص ١٠١) .
٢ اليعقوبي (١/١٧٠) .
٣ الطبري (٢/٧٠) ، ابن الاثير (١/١٥٨) ، حمزة (٦٧) ، مروج (٣/١٩٩) .
٤ الطبري (٢/٦٢) ، (دار المعارف) .
٥ Ency. 4, P. 178.
٦ الطبري (٢/٦٥) .
٧ الطبري (٢/٦٥) (طبعة دار المعارف بمصر) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .

الحاكمة . ويرجع ابن الكلبي نسبه الى العماليق ، فيقول إنه من (بني عمرو بن عمليق)[1] . وذكر حمزة نسبه على هذه الصورة : أوس بن قلام بن بطينا بن جمهير بن لحيان العمليقي[2] . وجعله ابن خلدون من بني عمرو بن عملاق[3] .

ويتبين من خبر ورد في (الأغاني) أن أوساً كان من أسرة كانت تقيم في الحيرة ، وهي من بني الحارث بن كعب[4] . وقد ورد اسم رجل آخر من هذه الأسرة ، ذكر انه بنى ديراً في الحيرة[5] .

ولا نعرف من أعمال أوس هذا شيئاً، وكل ما نعرفه عنه انه حكم خمس سنوات[6]. وان امرءاً اسمه (جحجبن بن عتيك بن لخم) (جحجبا) ثار به فقتله على رواية لابن الكلبي ذكرها الطبري[7]. أما حمزة فذكر اسمه ونسبه على هذه الصورة، (ححجنا بن عبيل أحد بني فاران) . وقال : (قال ابن الكلبي : وهو فاران ابن عمرو بن عمليق ، وهم بطن بالحيرة يقال لهم بنو فاران ، وححجنا منهم . فقتل ححجنا أوساً ، فرجع الملك الى آل بني نصر)[8] .

فنحن إذن أمام روايتين في أصل جحجبي (جحجبا) أو ححجنا : رواية ترجعه الى لخم ، ورواية أخرى ترجعه الى بني فاران ، وترجع بني فاران الى (عمرو بن عمليق) ، أي الى العشيرة التي رجع الأخباريون نسب أوس بن قلام اليها ، إذن فهو بموجبها من العماليق .

أما هذا الاختلاف الذي نراه بين الرواة في كيفية ضبط اسم هذا الثائر في جحجبا أو حجحنا ، وفي عتيك أو عبيل ، فيمكن رَجْعُهُ الى خطأ وقع في تدوين الروايات ، إما سهواً وإما جهلاً بحقيقة الاسم ، فمن هذين نشأ لدينا هذا الاختلاف .

ولم يذكر الأخباريون الأسباب التي حملت (جَحْجَبَى) على الثورة والمنافع

---

١ الطبري (٢/٦٥) (طبعة دار المعارف بمصر) .
٢ حمزة (ص ٦٧) .
٣ ابن خلدون (٢/٤٨) .
٤ الاغاني (٢/١٨ ، ٢٦) .
٥ Rothstein, S. 64.
٦ الطبري (٢/٧٢) ، (٢/٦٥) (طبعة دار المعارف بمصر) ، حمزة (ص ٦٧) .
٧ الطبري (٢/٦٥) (طبعة دار المعارف بمصر) .
٨ حمزة (ص ٦٧) .

التي جرّها لنفسه منها . وكل ما ذكروه عنه انه ثار به جحجبى فقتله ، وان هلاكه كان في عهد (بهرام بن سابور) (٣٨٨ — ٣٩٩ م) ، وان (بهرام) استخلف بعده في عمله (امرىء القيس البدء بن عمرو بن امرى القيس البدء) خمساً وعشرين سنة . وكان هلاكه في عهد يزدجرد الأثيم[١] .

فيتبين من ذلك ان (جحجبا) (جحجبى) ، قاتل أوس ، لم يحكم الحيرة وان حكمها عاد فانتقل الى آل نصر .

ولم يذكر اليعقوبي أوس بن قلام ولا الثورة التي قام بها جحجبا (جحجبى) ، بل نصب رجلاً آخر بعد عمرو بن امرىء القيس هو المنذر بن امرىء القيس ، ونعته بالمحرق ، نعته بذلك لأنه أخذ قوماً حاربوه ، فحرقهم ، فسمي لذلك محرقاً ، وجعل بعده النعمان[٢] .

ولم يذكر المسعودي كذلك أوس بن قلام ولا جحجبا (جحجبى) ، بل ذكر النعمان بن امرىء القيس رأساً بعد عمرو بن امرىء القيس ، وقال انه قاتل الفرس خمساً وستين سنة ، وان أمه الهيجانه بنت سلول ، وكانت من مراد أو من إياد[٣] .

وقد نعت الطبري امرأ القيس هذا بالبدء[٤] . أما حمزة فلقبه بالبدن[٥] . وأظن ان مرد هذا الاختلاف خطأ وقع في الروايات من الرواة أو الكتابة للحرف الأخير من كلمة البدء أو البدن ، فصارت الكلمة الواحدة في الأصل كلمتين .

وذكر ابن الأثير ان بهرام بن سابور استخلف من بعد أوس امرأ القيس بن عمرو بن امرىء القيس الكنـــدي ، فبقي خمساً وعشرين سنـــة ، وهلك في أيام يزدجرد الأثيم[٦] ، واضافة الكندي الى امرىء القيس خطأ ، ولا شك ، فلم يرو أحد من الأخباريين ان امرأ القيس هذا كان كندياً . ومن المعروف ان ابن الأثير قد اعتمد على تأريخ الطبري اعتماداً كلياً ، حتى ليمكن أن يقال انه اختصره ، والعبارتان خلا زيادة كلمة (الكندي) متشابهتان ، ففي استطاعتنا أن نقول بحدوث هذه الزيادة في تأريخ ابن الأثير إما من النساخ وإما من ابن الأثير نفسه ، إذ

---

١ الطبري (٢/٦٥) (طبعة دار المعارف بمصر) .
٢ اليعقوبي (١/١٧٠) .
٣ مروج (٢/٢٣) (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) .
٤ الطبري (٢/٦٥) (طبعة دار المعارف) .
٥ حمزة (ص ٦٧) ، (ثـم امرؤ القيس البدن) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .
٦ ابن الاثير : الكامل (١/١٧٦) .

استعجل دون تفكير فأضاف كلمة الكندي الى نسب امرىء القيس،لشهرة امرىء القيس الكندي .

ولا نعرف من خبر امرىء القيس شيئاً يذكر . وقد ذكر حمزة أنه هو محرق الأول ، وانه أول من عاقب بالنار . وفي روايته هذه انه حكم إحدى وعشرين سنة[1] . أما الطبري ، فذكر انه حكم خمساً وعشرين سنة[2] .

وذكر الطبري أن (يزدجرد) المعروف بالأثيم (٣٩٩ — ٤٢٠ م) ، الذي في أيامه كان هلاك (امرىء القيس) استخلف مكان (امرىء القيس) ابنه (النعمان) . وهو فارس حليمة ، وصاحب الخورنق[3] .

وهذا النعمان المعروف عند المؤرخين بالنعمان الأول ، هو أول ملك نستطيع أن نتحدث عنه بشيء من التأكيد والتحقيق والتفصيل ، وهو كما يقول الأخباريون : النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن عدي . أما أمه ، فهي شقيقة ابنة أبي ربيعة ابن ذهل بن شيبان[4] ، وهي أخت عمرو المزدلف .

وقد عرف النعمان بالنعمان الأعور كذلك ، كما عرف أيضاً بالسائح[5] . وكان له شقيق من أمه شقيقة ، هو (حسان بن زهير)[6] .

ويظهر من وصف الأخباريين للنعمان أنه كان رجلاً حازماً قوياً ، محارباً من أشد الناس نكاية في عدوّه . غزا عرب الشأم مراراً كثيرة فسبى منهم وغنم . وكان يغزو بكتيبتين كانتا عنده : دوسر وأهلها تنوخ ، والشهباء وأهلها الفرس. يغزو بهما من لا يدين له من العرب[7] . وقد اشتهرت دوسر بشدة ضربتها حتى قيل أبطش من دوسر[8] . وقد نسب بعضهم له خمس كتائب ، هي : الرهائن

---

١ حمزة (ص ٦٧) ، (وهو محرق الاول ، لانه أول من عاقب بالنار) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .
٢ الطبري (٢/٦٥) (طبعة دار المعارف بمصر) .
٣ الطبري (٢/٦٥) (طبعة دار المعارف بمصر) .
٤ الطبري (٢/٦٥) (طبعة دار المعارف) ، ابن الاثير (١/١٧٦) ابن خلدون (٢/٤٨) .
٥ حمزة (ص ٦٨) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .
٦ حمزة (ص ٦٨) .
٧ الطبري (٢/٧٣) ، (٢/٦٧) (دار المعارف) ، حمزة (ص ٦٨) .
٨ الميداني : مجمع الامثال (١/٧٨) ، (ضربت دوسر فيه ضربة) ، اللسان (٤/٢٨٥) ، (صادر) ، مادة (دسر) .

والصنائع والأشاهب ، والكتيبتان المذكورتان . أما الرهائن ، فذكروا أنها كانت تتألف من خمسمائة رجل رهائن لقبائل العرب ، يقيمون على باب الملك سنة ، ثم يجيء بدلهم خمسمائة أخرى ، وينصرف أولئك الى أحيائهم ، فكان الملك يغزو بهم ويوجههم في أموره . وأما الصنائع ، فهي : بنو قيس وبنو تيم اللات بن ثعلبة ، وكانوا خواص الملك لا يبرحون بابه .

وذكر أنه كانت له كتيبة تسمى (الوضائع) ،وقوامها ألف رجل من الفرس يضعهم ملوك الفرس بالحيرة نجدة لملوك العرب،وكانوا يقيمون سنة،ثم يأتي بدلهم ألف رجل ، وينصرف أولئك[1] .

وقيل إن وجوه العرب وأصحاب الرهائن كانوا يفدون عند رأس كل سنة ، وذلك في أيام الربيع ، الى النعمان وبقية من تولى الملك بعده ، وقد صيّر لهم أكلاً عنده ، وهم ذوو الآكال ، فيقيمون شهراً ، ويأخذون آكالهم ويبدلون رهائنهم وينصرفون الى أحيائهم . والآكال هم سادة الأحياء . وكانوا يأخذون المرباع ، أي ربع الغنيمة في الحرب والغزو[2] .

ونعت بعض المؤرخين مثل الطبري وحمزة النعمان بأنه فارس حليمة[3] ، أي معركة حليمة المعروفة التي وقعت في أيام المنذر بن ماء السماء ، لا في أيام النعمان على روايات آخرين[4] .

وإلى النعمان هذا ينسب أكثر الأخباريين بناء قصر الخورنق الشهير في الأدب العربي . قيل : انه بناه لبهرام جور بن يزدجرد الأول (٣٩٩ – ٤٢٠ م) المعروف بالأثيم . وكان يزدجرد لا يبقى له ولد ، فسأل عن منزل بريء مريء صحيح من الأدواء والأسقام،فدلّ على ظهر الحيرة ، فدفع ابنه بهرام جور الى النعمان هذا ، وأمره ببناء الخورنق مسكناً له ، وأنزله إياه ، وأمره باخراجه الى بوادي العرب[5] .

---

١ بلوغ الارب (٢/١٧٦) .
٢ بلوغ الارب (٢/١٧٦) .
٣ الطبري (٢/٦٥) (دار المعارف) ، حمزة (ص ٦٨) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .
٤ البلدان مادة حليمة ، الميداني : مجمع الامثال (١/٢٣١) ، (٢/١٥٠) .
٥ الطبري (٢/٧٣) (٢/٦٥) (دار المعارف) الاغاني (٢/١٤٤) ، (طبعة دار الكتب المصرية) .

وذكر (السهيلي) ان الخورنق قصر بناه النعمان الأكبر ملك الحيرة لسابور ليكون ولده فيه عنده ، وبناه بنياناً عجيباً لم تر العرب مثله . واسم الذي بناه له سنمار ، وكان بناه في عشرين سنة[1] . ويذكر بعضهم انه بني على نهر (سنداد)[2].

وقد ارتبط اسم الخورنق في القصص الذي شاع حوله باسم بانيه المسمى سنمار، وهو في زعم الأخباريين بنّاء رومي كلفه النعمان بناء القصر ، فلما انتهى منه وكمل تعجب من حسنه واتقان عمله ، وبدلاً من أن يوفيه النعمان وفاءً حسناً ، أمر به فطرح من رأس الخورنق ، فمات في قصص يرويه الأخباريون . ويضرب بهذه النهاية المثل في الأدب العربي في الجزاء السيء ، فيقال (جزاه جزاء سنمار)[3].

وقد وردت قصة سنمار في أبيات تنسب لعبد العُزى بن امرىء القيس الكلبي، وكان أهدى افراساً الى الحارث بن مارية الغساني ووفد عليه ، فأغره واكرمه ، ثم عاقبه لما بلغه خبر وفاة ولد للحارث وكان قد استرضعه لدى بني الحميم بن عوف من بني عبد ودّ من كلب ، نهشته حية فتوفي ، فظن الملك انهم اغتالوه، لذلك طلب من عبد العزى أن يجيء بهم اليه . فلما أبى ، انزل به العقاب . وقد

---

١ الروض الانف (٦٧/١) ، (والخورنق : نهر . والخورنق : المجلس الذي يأكل فيه الملك ويشرب ، فارسي معرب ، أصله خرنكاه ، وقيل : خرنقاه معرب . قال الاعشى :

ويجيء اليه السيلحون ودونها صريفون في أنهارها والخورنق

والخورنق : نبت . والخورنق: اسم قصر بالعراق، فارسي معرب، بناه النعمان الاكبر الذي يقال له الاعور ، وهو الذي لبس المسوح فساح في الارض) ،اللسان (٧٩/١٠) ، مادة (خرنق) .

٢ بلوغ الارب (٣٨٦/١) .

٣ الطبري (٦٥/٢ وما بعدها) ، (دار المعارف) ، البلدان (١/٢ وما بعدها) ، دائرة المعارف الاسلامية (٣٥/٩) ، الميداني ، مجمع الامثال (١٦٧/١) ، البكري ، معجم (٥١٦/٢) ، (وسنمار : اسم رجل اعجمي ، قال الشاعر :

جزتنا بنو سعد بحسن فعالنا جزاء سنمار وما كان ذا ذنب

وحكي فيه السنمار بالالف واللام . قال أبو عبيد : سنمار اسم اسكاف بني لبعض الملوك قصرا ، فلما أتمه أشرف به على اعلاه فرماه منه غيرة منه أن يبني لغيره مثله ، فضرب ذلك مثلا لكل من فعل خيرا فيجزى بضده . وفي التهذيب: من أمثال العرب في الذي يجازي المحسن بالسوأى قولهم : جزاه جزاء سنمار . قال أبو عبيد : سنمار بناء مجيد رومي فبنى الخورنق الذي بظهر الكوفةللنعمان ابن المنذر ، وفي الصحاح : للنعمان بن امرىء القيس ، فلما نظر اليه النعمان كره ان يعمل مثله لغيره ، فلما فرغ منه القاه من اعلى الخورنق فخر ميتا ،،، اللسان (٣٨٣/٤) (صادر) ، مادة (سنمر) .

ورد في هذه الأبيات ان سنمار صرف عشرين حجة في بنائه البنيان بالقرميد والسكب ، فلما كمل البناء وآض كمثل الطود ، وظن سنمار انه سينال من صاحبه المودة والقرب ، إذ بصاحب القصر يأمر بقذفه من فوق برجه فيموت . ولم يذكر الشاعر اسم الملك ولا اسم الخورنق ، وهو يخاطب في هذه الأبيات ابن جفنة ، كما اشير الى (المرء حارث) ويقصد به الحارث الغساني[1] .

وقد نسب بعض أهل الأخبار قصة نهاية (سنمار) الى (أُحيحة بن الجُلاّح) . فذكروا ان أحيحة أراد بناء أطم له ، فبناه له (سنمار) . فلما كمل ، عجب من بنائه ، فقال له (سنمار) : « اني لأعرف فيه حجراً لو انتزع لتقوض من عند آخره ، فسأله عن الحجر ، فأراه موضعه ، فدفعه أحيحة من الأطم ، فخرّ ميتاً[2] .

وقد ذُكر (جزاء سنمار) في شعر لأبي الطمحان القيني ،وآخر لسليط بن سعد وآخر ليزيد بن إياس النهشلي[3] .

واقترن اسم هذا القصر في الغالب باسم قصر آخر نسب بناؤه أيضاً الى هذا النعمان ، هو السدير[4] .

ويتبين من روايات أهل الأخبار عن (الخورنق) و (السدير) ان القصر الأول لم يكن بعيداً عن الحيرة ، وانما كان على مقربة منها ، وربما كان على مسافة ميل من الحيرة . أما (السدير) ، فكان على مسافة بعيدة ، وقد ورد انه كان في وسط البرية التي بينها وبين الشأم .

---

١ (ودعا ابنيه : شراحيل وعبد الحارث ، فكتب معهما الى قومه :

جزاني جزاه الله شر جزائه ... جزاء سنمار وما كان ذا ذنب
سوى رصه البنيان عشرين حجة ... يعلي عليه بالقراهيد والسكب
فلما رأى البنيان تم سموقه ... وآض كمثل الطود ذي الباذخ الصعب
فاتهمه من بعد حرس وحقبة ... وقد هره اهل المشارق والغرب
وظن سنمار به كل حبرة ... وفاز لديه بالمودة والقرب
فقال :اقذفوا بالعلج من فوق برجه ... فهذا لعمر الله من أعجب الخطب)

الطبري (٢/٦٦ وما بعدها) ، (دار المعارف) .

٢ الميداني ، مجمع الأمثال (٢/١٦٧) .

٣ الطبري (٢/٦٦) (دار المعارف) .

٤ البلدان (السدير) ، حمزة (ص ٦٨) ، البكري (٣/٧٢٩) ، الروض الأنف (١/٦٦) .

ويظهر من وصف أهل الأخبار للسدير ، ومن انه كان قبة في ثلاث قباب متداخلة [1] ، ومن وصفهم للخورنق ، ان السدير لم يكن في مثل ضخامة قصر الخورنق ، وان الخورنق كان قصراً كبيراً أعدّ للسكنى وليكون حصناً يهيمن على مشارف البادية .

ويرى بعض الباحثين أن قصر الخورنق لم يكن من بناء (النعمان) ، وأنه انما بني قبل ذلك ، ويرى أن النعمان قد أسكن (بهرام) فيه [2] .

وقد ورد ذكر الخورنق في شعر لحسان بن ثابت :

وحارثة الغطريف أو كابن منذر ومثل أبي قابوس ربّ الخورنق [3]

وقد ذهب بعض شرّاح هذا البيت الى أن المراد بـ (ابن منذر) (عمرو ابن هند) ، وأن المراد من (أبي قابوس) ، (النعمان بن المنذر بن امرىء القيس بن عدي اللخمي) ، الذي لبس المسوح وساح في الأرض ، والذي نعته الشاعر عدي بن زيد العبادي بـ (رب الخورنق) [4] . وهو تفسير ينسجم مع رأي المؤرخين في باني القصر ، إلا أنه يتعارض معهم في تسمية الملك ، فالمعروف عندهم أن (ابا قابوس) هو (النعمان بن المنذر) آخر ملوك الحيرة ، وهو قاتل الشاعر (عدي بن زيد العبادي) لا (النعمان السائح) [5] . ولا يوجد أحد غيره عرف عندهم بـ (أبي قابوس) . وقد حكم هذا بعد (عمرو بن هند) بأمد ، فيكون هو مراد الشاعر المذكور . غير ان هذا يدفعنا الى تخطئة (حسان) في نسبة الخورنق الى هذا الشاعر ، أو تخطئة المؤرخين في نسبتهم القصر الى (النعمان

---

١ (والسدير : بناء ، وهو بالفارسية سهدلي أي ثلاث شعب أو ثلاث متداخلات . وقال الاصمعي : السدير فارسية ، كأن أصله سادل أي قبة في ثلاث قباب متداخلة ، وهي التي تسميها الناس اليوم سدلي ، فأعربته العرب ، فقالوا سدير . والسدير : النهر ، وقد غلب على بعض الانهار ، قال :

الابن امك ما بدا ولك الخورنق والسدير

التهذيب : (السدير نهر بالحيرة) ، اللسان (٤/٣٥٥) ، (صادر) ، نهاية الأرب (١/٣٨٥ وما بعدها) .

٢ ايران في عهد الساسانيين ، أرثر كريستين ، ترجمة يحيى الخشاب (ص٢٦٠) .

٣ البرقوقي (ص ٢٨٧) .

٤ الخورنق (ص ٢٨٧) .

٥ المحبر (٣٥٨ وما بعدها) .

السائح) . والذي اراه ان هذا التفسير ، لا يتعارض مع روايات المؤرخين في باني القصر ، وان مراد الشاعر من (ومثل أبـي قابوس رب الخورنق) ، انه صاحب الخورنق ، اي مالكه والنازل فيه ، لا الباني له . وقد ذكره لشهرة القصر في ايامه وبذلك فلا يقع التعارض بين التفسيرين ، ويكون الملك المقصود هو (النعمان أبو قابوس) .

وممن اشار الى القصرين : الخورنق والسدير في شعره من الشعراء الجاهليين ، المنخل ، قال :

واذا صحوت فـانني ... رب الشريهـة والبعير
واذا سكرت فـإنني ... ربّ الخورنق والسدير

وقد نشأ لقب (السائح) الذي لقب به النعمان من القصة الشهيرة التي يرويها الاخباريون عن هذا الملك ، وهي ان النعمان جلس في يوم من ايام الربيع في قصره الخورنق فأشرف منه على النجف وما يليه من البساتين والنخل والجنـان والانهار ... فأعجبه ما رأى من الخضرة والنور والانهار ، فقال لوزيره وصاحبه : هل رأيت مثل هذا المنظر قط ؟ فقال : لا ، لو كان يدوم ! قال : فما الذي يدوم ؟ قال : ما عند الله في الآخرة ، قال : فيمَ ينال ذلك ؟ قال : بترك الدنيا وعبادة الله والتماس ما عنده . فترك ملكه من ليلته ، ولبس المسوح مستخفياً هارباً لا يعلم به ، وأصبح الناس لا يعلمون بحاله ، فحضروا بابه ، فلم يؤذن لهم عليه كما كان يفعل . فلما ابطأ الإذن عليهم ، سألوا عنه ، فلم يجدوه ، وساح الملك منذ ذلك الحين في الارض ، فلم يره انسان[1] .

ويلحق الاخباريون بهذه القصة ابياتاً ينسبونها لعديّ بن زيد العبادي . ذكروا انه خاطب بها النعمان بن المنذر ، هي في الواقع اختصار للقصة ، لم يذكر فيها اسم النعمان ، وانما اكتفى الشاعر بذكر ربّ الخورنق ، ورب الخورنق هو النعمان في تفسير الاخباريين[2] .

---

١ الطبري (٢/٧٣ وما بعدها) ، (٢/٦٧) ، (دار المعارف) ، حمزة (ص ٦٨) ، المعارف (ص ٢٨٢) .

٢ الطبري (٢/٦٧ وما بعدها) ، حمزة (ص ٦٩) ، المعارف (ص ٢٨٢) ، نهاية الأرب (١/٣٨٧) .

والأبيات المنسوبة الى عديّ بن زيد ، وهي :

وتذكّر ربّ الخورنق إذ فكّر يوماً ، وللهدى تفكير
سره ملكه وكثرة ما يملك والبحر معرضاً والسدير
فارعوى جهله ، فقال : وما غبطة حيّ الى الممات يصير ؟

تشير الى النعمان السائح ، وتذكر قصة مفارقته ملكه ، ولبسه المسوح واعراضه عن الملك بعد ان كان ملكاً . ولم يقصد بالنعمان : النعمان بن ابي سلمى صاحبه ، كما تصور بعض الناس [1] ويظهر انه نظمها للنعمان صاحبه على سبيل العظة والتذكير ، ليدخله في النصرانية ، وذلك بعد ان كان يتعبد للأوثان . وقد تمكن من التأثير فيه ، فأدخله فيها كما يذكر الاخباريون .

وقد ورد في بعض الروايات تنصر النعمان [2] ، ونسب تنصره الى سلطان القديس (سمعان العمودي) (Symeon Stylites) عليه ، وكان يقوم ، بالتبشير بين أهل الحيرة [3] . وذكر انه شفاه ببركته من مرض كان به ، فتنصر [4] . وهي رواية في حاجة الى دليل . فلم يثبت ان آل لخم كانوا قد تنصروا في هذا العهد .

وقد ذكر الطبري ان تبع بن حسان بن تبع بن ملكيكرب بن تبع الأقرن، تبع حمير ارسل حينما ولي الملك ابن اخته الحارث بن عمرو بن حجر الكندي في جيش عظيم الى بلاد معد والحيرة وماوالاها ، فسار الى النعمان بن امرىء القيس ابن الشقيقة ، فقاتله ، فقتل النعمان وعدة من اهل بيته ، وهزم اصحابه ، وافلته المنذر بن النعمان الاكبر ، وامه مـــاء السماء امرأة من النمر . فذهب ملك آل النعمان ، وملك الحارث بن عمرو الكندي ما كانوا يملكون [5] .

وقد استدرك الطبري على هذه الرواية ، فذكر بعدها مباشرة هذه الجملة ، قال : (وقال هشام : ملك بعد النعمان بن المنذر ابنه المنذر بن النعمان ، وأمه

---

١ رسالة الغفران (٥٥٥) ، (تحقيق الدكتـورة عائشة عبد الرحمن ، بنـــت الشاطىء) .
٢ ابن خلدون (٢/٢٧١) .
٣ شيخو : النصرانية (٨٢) .
٤ السمعاني (١/٢٤٧) ، الحيرة (١٥١) . Causin, 254.
٥ الطبري (٢/٨٦) ، (٢/٨٩ وما بعدها) (دار المعارف) .

هرّ ابنة زيد مناة بن زيد الله بن عمرو الغساني اربعاً واربعين سنة)[1] . وذلك يدل على ان هذه رواية اخرى منسوبة الى ابن الكلبي ايضاً ، ولكنه اخذها من مورد آخر غير المورد الذي نقل منه الرواية السابقة ، وهي منسوبة ايضاً الى ابن الكلبي استهلها الطبري بقوله : (حدثت عن هشام بن محمد)[2] . وهو ابن الكلبي .

وحديث الطبري عن قتل الحارث بن عمرو الكندي للنعمان بن امرىء القيس ابن الشقيقة ، يناقض ما رواه هو نفسه وما رواه غيره عن تنسك النعمان واعتزاله الملك وسياسته في الارض وعن اللقب الذي منحه الاخباريون إياه وهو (السائح) ، ويظهر ان ابن الكلبي وأضرابه رواة هذه الروايات كانوا قد اخذوا رواياتهم من مصادر عربية مختلفة ، غير مدونة ، فوقع هذا التناقض بين الروايتين .

وعاد الطبري فتكلم على هذا الموضوع في اثناء حديثه عن الاحداث التي وقعت بين العرب في ايام قباذ ، فقال : (وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : لما لقي الحارث بن عمرو بن حجر بن عدي الكندي النعمان بن المنذر بن امرىء القيس ابن الشقيقة ، فقتله ، وأفلته المنذر بن النعمان الاكبر وملك الحارث بن عمرو الكندي ما كان يملك ، بعث قباذ بن فيروز ملك الفرس الى الحارث بن عمرو الكندي : انه قد كان بيننا وبين الملك الذي قد كان قبلك عهد ، واني احب ان ألقاك . وكان قباذ زنديقاً يظهر الخير ويكره الدماء[3] . فجعل الطبري والد النعمان في هذه الرواية المنذر بن امرىء القيس مع ان والد النعمان المقصود هو امرىء القيس .

وقد ذكر الطبري ان ملك النعمان الى ان ترك ملكه وساح في الارض تسع وعشرين سنة وأربعة أشهر . من ذلك في زمن يزدجرد خمس عشرة سنة ، وفي زمن بهرام جور بن يزدجرد أربع عشرة سنة[4] . واذا اخذنا بهذه الرواية وجب ان يكون ابتداء حكم الملك النعمان في سنة (٤٠٥ م) ، وتركه الملك واختياره في الارض وحياة الزهد في حوالى السنة (٤٣٤ م) . فقد حكم بهرام بن يزدجرد ، المعروف بـ (بهرام الخامس) عند المؤرخين فيما بين السنة (٤٢٠ م) والسنة (٤٣٨)[5] . وصار عرش الحيرة بعد النعمان الى ابنه المنذر ، وكانت أم المنذر من غسان .

---

١ الطبري (٢/٩٠) (دار المعارف) .
٢ الطبري (٢/٨٩) (دار المعارف) .
٣ الطبري (٢/٨٩) (٢/٩٥) (دار المعارف) .
٤ الطبري (٢/٦٨) (دار المعارف) .
٥ Ency., 4, P. 178.

وهي هند بنت زيد مناة بن زيد بن عمرو الغساني [1] . اما المسعودي ، فذكر أنها : هند بنت الهيجانة من آل بكر [2] .

وقد ذكر الطبري ان يزدجرد لما ولد بهرام جور ، اختار لحضانته العرب ، فدعا المنذر بن النعمان واستحضنه بهرام ، فسار به المنذر ، واختار لرضاعته ثلاث نسوة ذوات اجسام صحيحة وأذهان ذكية وآداب حسنة ، من بنات الأشراف ، وهن عربيتان وعجمية ، فأرضعنه ثلاث سنين ، فلما بلغ خمس سنين ، احضر له مؤدبين ، فعلموه الكتابة والرمي والفقه . وأحضر له حكيماً من حكماء الفرس . ثم احضر له معلمي الفروسية ، فتعلم الرماية والصيد وركوب الخيل حتى صار من أمهر الناس . وظل هذا شأنه لدى المنذر حتى مات يزدجرد . ففرح الناس بوفاته وقرر الاشراف والموبذان والمرازبة صرف الملك عن اسرة يزدجرد ، لسوء سيرته في الناس ، ونصبوا شخصاً آخر مكانه . فلما رأى بهرام ذلك ، طلب مساعدة المنذر ، فأرسل المنذر قوة بقيادة ابنه النعمان ، وسار هو على رأس قوة اخرى قوامها ثلاثون الفاً من فرسان العرب ، ومعه بهرام ، وبعد مفاوضات وافق الفرس على خلع من نَصَّبوه كسرى عليهم ، وتعيين بهرام ، وبفضل هذه المساعدة استعاد التاج [3] .

وتناقض هذه الرواية كما نرى من الرواية السابقة التي دوّنها الطبري نفسه في تعليل سبب بناء الخورنق والتي تحدثت عنها قبل قليل . وقد فطن ابن الأثير الذي نقل الروايتين ايضاً لهذا التناقض ، فقال : (هكذا ذكر أبو جعفر ، في اسم بهرام جور ، ان اباه اسلمه الى المنذر بن النعمان كما تقدم ، وذكر عند يزدجرد الأثيم انه سلم بهرام الى النعمان بن امرىء القيس . ولا شك ان بعض العلماء قال هذا وبعضهم قال ذاك ، الا انه لم ينسب كل قول الى قائله) [4] . وأبو جعفر هذا هو الطبري .

ولا نعلم شيئاً من أمر النعمان بن المنذر الذي تولى قيادة القوة التي أمر والده بارسالها للتحرش بمملكة الفرس ، بعد ان رفضوا نصب بهرام جور ملكاً عليهم

---

١ حمزة (ص ٦٩) ، الطبري (٨٦/٢) ، (٦٨/٢ وما بعدها) ، (دار المعارف) .

٢ مروج (٢٣/٢) .

٣ الطبري (٧٤/٢ وما بعدها) ، الدينوري ، الاخبار الطوال (ص ٥٧ وما بعدها) ، تحقيق (فلاديمير جرجاس) (طبعة ليدن) ،
Nöldeke, Aufsätye, S. 104.

٤ ابن الأثير : الكامل (١٦٢/١) .

على نحو ما رأيناه في رواية الطبري الثانية[1] . فقد سكت الطبري عنه كما سكت الآخرون .

ونجد رواية نشأة بهرام جور بأرض العرب في رواية لليعقوبي مختصرة ، هي في الواقع جمع للروايتين السابقتين . ذكر اليعقوبي ان يزدجرد دفع بهرام جور الى النعمان ، فأرضعته نساء العرب ، ونشأ على أخلاق جميلة . ولما مات يزدجرد كرهت الفرس أن تولي ابناً له لسوء سيرته ، وقالوا : « بهرام ابنه قد نشأ بأرض العرب لا علم له بالملك » . وأجمعوا على أن يملكوا رجلاً غيره ، فسار بهرام في العرب ، فلما لقي الفرس ، هابته ، فأذعنوا له وأعطوه الطاعة فوعدهم من نفسه خيراً . وكتب الى الآفاق يعدهم بذلك . وقدم المنذر بن النعمان عليه ، فرفع منزلته[2] . فلم تنكر هذه الرواية رواية من زعم ان يزدجرد سلم ابنه الى النعمان ، ولم تنكر صلة المنذر ببهرام جور ، ولكنها كما نرى لم تشر الى اسم من قاد الجيش من العرب وسار على الفرس .

ولا يمنع على كل حال قول الأخباريين في بناء النعمان الأول الخورنق لبهرام من كون ابنه هو الذي ساعد بهراماً على أخذ التاج . لقد سلمه والده صغيراً الى النعمان ، فلما كبر وترعرع ، ومات والده وهو بين عرب الحيرة ، وامتنع الفرس من توليه التاج ، ساعده المنذر في ذلك ، وأخذ له حقه ممن اغتصبه منه .

ويظهر من أخبار الأخباريين انه كانت للمنذر منزلة عند (يزدجرد) . ذكر الطبري ان يزدجرد (دعا بالمنذر بن النعمان ، واستحضنه بهرام،وشرّفه وأكرمه، وملّكه على العرب وحباه بمرتبتين سنيتين ، تدعى احداهما (رام أبزوذ يزدجرد) وتأويلها (زاد سرور يزدجرد) ، وتدعى الأخرى (بمهشت) وتأويلها (أعظم الخول) ، وأمر له بصلة وكسوة بقدر استحقاقه لذلك في منزلته،وأمره أن يسير ببهرام الى بلاد العرب[3] .

وتناقض هذه الرواية رواية الطبري المذكورة في قصة بناء الخورنق ، ورواية بقية أهل الأخبار عن قصة بناء ذلك القصر ، وتؤكد ان وفاة (النعمان) الأول

---

١ الطبري (٢/٧٢) (دار المعارف) .
٢ اليعقوبي (١/١٣٢) .
٣ الطبري (٢/٦٨ وما بعدها) ، Rothstei,n S. 69.

كانت في أيام يزدجرد ، لا في أيام بهرام بن يزدجرد ، وتفيد ان انتقال الحكم الى المنذر كان في عهد يزدجرد .

واشترك المنذر في الحرب التي وقعت بين الروم والفرس بعد مدة قصيرة من تولي بهرام جور الملك ، واختار بلاد الشأم ساحة لهجومه . والظاهر أن إسهامه في هذه الحرب كان بطلب من بهرام الذي لم يكن موقفه حسناً فيها ، فكلف المنذر مهاجمة بلاد الشأم . ليخفف من شدة ضغط الروم عليه . غير ان التوفيق لم يحالف المنذر في هجومه هذا ، فمني بخسارة كبيرة وهو يحاول مع جيشه عبور الفرات ، فغرق أكثرهم في النهر . وكان ذلك في سنة ٤٢١ م . ولحقت به خسارة أخرى في السنة نفسها ، أو في السنة التي تلتها حينما أعاد الكرة على الروم[1] . وقد ذكر المؤرخ (سقراط) (Socrates) المتوفى في حوالي سنة ٤٣٩ م غرق زهاء مئة ألف رجل من رجال المنذر في النهر ، وهو عدد مبالغ فيه ولا شك .

وقد استند الطبري الى رواية يتصل سندها بابن الكلبي ، فجعل مدة حكم المنذر بن النعمان أربعاً وأربعين سنة ، من ذلك في زمن بهرام جور ثماني سنين وتسعة أشهر ، وفي زمن يزدجرد بن بهرام ثماني عشرة سنة ، وفي زمن فيروز ابن يزدجرد سبع عشرة سنة[2]. وهذه الرواية تناقض روايات ابن الكلبي السابقة عن تولي المنذر الحكم في أيام يزدجرد الأثيم والد بهرام جور ، كما مرّ معنا . وقد أغفلت أمر (هرمز) وهو ابن يزدجرد ابن بهرام جور ، المعروف بالثالث ، الذي حكم من حوالي السنة ٤٥٧ حتى السنة ٤٥٩ للميلاد . فإذا فرضنا أن حكم المنذر كان ثماني سنين وتسعة أشهر من زمان بهرام جور الذي حكم من حوالي السنة ٤٢٠ للميلاد حتى السنة ٤٣٨ للميلاد ، صارت السنة ٤٢٩ هي السنة ٤٣٠ للميلاد التي يجب أن تكون سنة توليه الحكم ، وإذا أضفنا الى هذا الرقم أربعاً وأربعين سنة ، وهي مدة حكم المنذر ، الى هذه الرواية ، صارت السنة ٤٧٣ — ٤٧٤ للميلاد ، هي سنة انتهاء حكم المنذر بوفاته . وتكون سنة وفاته إذن في زمن (فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور) الذي حكم من حوالي السنة ٤٥٩ حتى السنة

---

١ Rothstein, S. 69, Socrates, VII, 18, Bar Hebraeus, Chron. Syriac., 75, Caussin, Essai, II 63, Noldeke, Sas., 86, Paulys-Wissowa, Erster Halbband, S. 1281.

٢ الطبري (٢/٩٠) (دار المعارف) .

٤٨٤ للميلاد . وبحسب هذه الرواية يكون المنذر قد عاصر بهرام جور المعروف بـ (بهرام الخامس) عند المؤرخين وعاش في زمن يزدجرد الثاني ، وهو ابن (بهرام جور) . وفي زمن (هرمز بن يزدجرد) ، ثم في زمن شقيقه فيروز ابن يزدجرد بن بهرام جور[1] .

وتولى بعد المنذر ابنه الأسود من زوجته هرّ ابنة النعمان من بني الهيجانة ابنة عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان على رواية الطبري[2] . ومن لخم على حد قول حمزة[3] .

وأما (الدينَوري) ، فـذكر أن الذي ولي الملك بعد (النعمان بن امرىء القيس) الأعور والسائح ، أخوه (المنذر بن امرىء القيس) ، وكانت أمـه من (النمر بن قاسط) ويقال لها : (ماء السماء) لجمالها وحسنها ، وأبوهـا (عوف بن جشم) وقد ولاه (كسرى أنو شروان) العرش ، وزعم أنه تزوج (هنداً) ابنة الحارث بن عمرو الكندي آكل المرار ، وهي التي أولدته ثـلاثة أولاد هم : عمرو بن هند المعروف بمضرط الحجارة ، وقابوس المعروف بقينـة العرس ، والمنذر بن المنذر . وذكر أنه بقي ملكاً على الحيرة الى أن غزا (الحارث ابن أبـي شمر الغساني) ، وهو الأعرج ، فقتله الأعرج بالحيار[4] .

وجعل (الدينوري) (المنذر بن المنذر بن امرىء القيس) بعد (المنذر) المذكور ، وقال : إنه خرج يطلب دم أبيه ، فقتله الحارث أيضاً بعين أباغ ، ويقال : إن قاتله هو (مرّة بن كلثوم التغلبي) ، أخو عمرو بن كلثوم ، ثم نصب من بعده شقيقه عمرو بن هند ، ثم النعمان بن المنذر أبا قابوس ، وبـذلك أنهى قائمته لملوك الحيرة[5] . وهي قائمة سقط منها عدد من الملوك .

ولا نعرف من أخبار الأسود شيئاً كثيراً . وقد ذكر حمزة أنـه حكم عشرين عاماً ، وذلك في زمن فيروز بن يزدجرد وبلاش بن فيروز وقباذ بن فيروز[6] .

---

١ راجع ترتيب وسن ملك الساسانيين في : Ency. 4, P. 178.
٢ الطبري (٢/٨٦) ، (٢/٩٠) (دار المعارف) .
٣ حمزة (ص ٦٩) .
٤ المعارف (ص ٢٨٣) .
٥ المعارف (ص ٢٨٣) ، عيون الاخبار (١/٣٣٠) .
٦ حمزة (ص ٦٩) .

وروى أنه حارب الغساسنة وانتصر عليهم ، وأسر منهم ، كما روى أنه وقع في احدى معاركه في أيدي الغساسنة ، فقتله[1] . وذكر الطبري أن الفرس أسرته[2] ، ولم يذكر سبب هذا الأمر . وأنه حكم عشرين سنة ، من ذلك في زمن فيروز ابن يزدجرد عشر سنين ، وفي زمن بلاش بن يزدجرد أربع سنين ، وفي زمان قباذ بن فيروز ، ست سنين[3] .

وقد حكم (فيروز) من سنة (٤٥٩ م) حتى سنة (٤٨٤ م) ، ويكون حكم (الأسود) بحسب رواية الطبري المتقدمة في حوالي السنة (٤٧٤ م) تقريباً، وقد حكم (بلاش) أربع سنين ، من سنة (٤٨٤ م) حتى سنة (٤٨٨ م)، ثم حكم (قباذ الأول) ، وهو ابن فيروز من بعده . حكم من سنة (٤٨٨) حتى سنة (٥٣١) للميلاد . ولما كان (الأسود) قد حكم ست سنين من زمان حكم (قباذ) ، تكون سنة وفاته في حوالي السنة (٤٩٤ م)[4] .

وورد في رواية انه كان للأسود بن المنذر ولد اسمه شرحبيل ، قتل ، قتله الحارث بن ظالم ، وكان طفلاً مسترضعاً عند سنان بن أبي حارثة المري[5] .

وكان سبب ذلك على ما تذكره الرواية ان (خالد بن جعفر بن كلاب) كان قدم على (الأسود بن المنذر) أخي النعمان،ومعه (عروة بن عتبة بن جعفر)، فالتقى خالد بن جعفر والحارث بن ظالم بن غيط بن مرة بن سعد بن ذبيان عند الأسود بن المنذر ، فجعل خالد يقول للحارث : يا حمار ، أما تشكر يدي عندك ان قتلت عنك سيّد قومك زهيراً وتركتك سيدهم ؟ فقال : سأجزيك شكر ذلك. فلما خرج الحارث ، قال الأسود لخالد : ما دعاك الى أن تتحرش بهذا الكلب ، وأنت ضيفي ؟ فقال : انما هو عبد من عبيدي ، ولو وجدني نائماً ما أيقظني. وانصرف خالد الى قبته ، فلامه عروة الرحال ، ثم ناما وأشرجت عليهما القبة ، فلما هدأت العيون ، انطلق الحارث حتى أتى قبة خالد ، فهتك شرجها ، ثم ولجها

---

١ الحيرة (ص ١٥٦ وما بعدها) .
٢ الطبري (٢/٨٦) ، (٢/٩٠) (دار المعارف) .
٣ الطبري (٢/٨٦) ، (٢/٩٠) (دار المعارف) .
٤ راجع أزمنة حكم الملوك الساسانيين في : Ency. 4, P. 178.
٥ ابن الأثير . الكامل (١/٢٢٩ وما بعدها) ، نهاية الأرب (١٥/٣٥٣ وما بعدها) .

وقتله . فنادى عروة : واجوار الملك ! فأقبل الناس ، وسمع الأسود الهتاف ، وقرر الانتقام ممن خرق جوار الملك . وهرب الحارث منه[1] .

ولما هرب الحارث تنقل في القبائل ، فلجأ الى صديق له من كنـــدة . فطلبه الملك فشخص من عند الكندي ، وأضمرته البلاد حتى استجار بزياد أحد بني عجل ابن لجيم ، فقام بنو ذُهـل بن ثعلبة وبنو عمـرو بن شيبان ، فقالوا لعجـــل : أخرجوا هذا الرجل من بين أظهركم ، فانه لا طاقة لنا بالشهباء والدوسر ، وأبت عجل ذلك عليهم . فلما رأى الحارث ذلك ، كره أن تقـع الفتنة بينهما بسببه ، فارتحل من بني عجل الى جبلي طيء ، فأجاروه ، فمكث عندهم حيناً . ثم ان الأسود لمـــا أعجزه أمـــره ، أرسل الى جارات كنّ للحارث بن ظالم استاقهن وأموالهن ، فبلغ ذلك الحارث ، فخرج من الجبلين ، حتى علم مكان جاراته ، فأتاهن ، واستنقذهن ، واستاق ابلهـن ، فألحقهن بقومهن . واندس الى بـــلاد غطفان حتى أتى سنان بن أبـي حارثة المريّ ، وهو أبو هَرِم بن سنان ممدوح زهير . وكان الأسود قد استرضع ابنه شرحبيل عنـــد سنان ، ترضعه امرأته . فاستعار الحارث سرج سنان ، وهو في ناحية الشرية ، فأتـى بـه سلمى امـــرأة سنان ، وقال لها : يقول لك بعلك ، ابعثي شرحبيل مع الحارث ، وهذا سرجه لك آية . فدفعته اليه ، فأتي به من ناحية من الشرية فقتله ، وهرب من فوره ، وهرب سنان لما سمع بخبر قتله .

فلما بلغ الأسود قتل ابنه شرحبيل غزا بني ذُبيان ، فقتل وسبى ، وأخذ الأموال وأغار على بني دودان رهط سلمى ، ثم وجد بعد ذلك نعلي شرحبيـل في جانب الشرية عند بني محارب بن خصفة ، فغزاهم وأسرهم وأحمى لهم الصّفا ، وقال : اني أحذّيكم نعالاً ، فأمشاهم عليها ، فسقطت أقدامهم ، ثم ان سيّار بن عمرو ابن جابر الغزاوي احتمل للأسود دية ابنه ألف بعير ، ورهنه بها قوسه ، فوفاه بها.

ثم هرب الحارث ، فلحق بمعبد بن زرارة فاستجار به ، فأجاره ، وكان من سببه وقعة رحرحان . ثم هرب حتى لحق بمكة ، ثم غادرها الى الشأم ، فلحق بيزيد بن عمرو الغساني ، فأجاره وأكرمه . ومكث عنده . ثم افتقـــد يزيد ناقة له ، ولم يعلم خبرها ، فأرسل الى الخِمّس التغلبي ، وكان كاهناً ، فسأله عنها ،

---

١ نهاية الأرب (١٥/٣٤٨ وما بعدها) .

فأخبره ان الحارث صاحبها ، فهم به الملك ثم تذمم من ذلك ، فأوجس الحارث في نفسه شراً ، فأتى الخمس التغلبي فقتله . فلما فعل ذلك دعا به الملك ، وأمر به ابن الخمس فقتله بأبيه . وأخذ ابن الخمس سيف الحارث ، فأتى سوق عكاظ في الأشهر الحرم ، فأراه قيس بن زهير العبسي ، فضربه به قيس فقتله[1] .

وذكر ان الأسود غزا بني ذبيان وبني أسد بشط أربك وأوقع فيهم،وانه وجد نعل ابنه شرحبيل القتيل في بني محارب بن خصفة بن قيس عيلان . فانتقم منهم شر انتقام ، وانه قبل من الحارث بن سفيان دفع دية شرحبيل ، فدفعها اليه ، وهي ألف بعير ، (دية الملوك)[2] .

وخبر هذه الغزوة هو جزء متمم لخبر قتل الحارث بن ظالم لابن الأسود، كما جاء في رواية أخرى .

وروايات أهل الأخبار عن قتل الحارث بن ظالم لخالد بن جعفر بن كلاب ، وعن قتل ابن الملك ، روايات متناقضة مضطربة قلقة ، والتبس الأمر فيها على الرواة ، ولا سيما (ابن الكلبي) و (أبي عبيدة) اللذين هما مرجعا أكثر رواة تلك الروايات . يتداخل فيها اسم النعمان بن امرىء القيس مع اسم النعمان بن المنذر واسم الأسود بن المنذر ، وتنسب القصة مرة الى هذا الملك،ومرة الى ذاك. وقد تتداخل ، فيذكر اسم الملك الأسود ، ثم يورد بعده اسم الملك النعمان .

يذكر الرواة رواية كالرواية السابقة ، جعلت الولد القتيل شرحبيل بن الأسود، وجعلت الحارث بن ظالم يسير متخفياً الى الحيرة ليفتك بالأسود. ولكنهم جعلوه في هذه الرواية يسمع صراخ امرأة أخذ جمع الأسود صرمة من إبلها ، فتوجع لها ، ووعدها على اعادة ابلها فطلب منها أن تذهب الى موضع عيّنه لها ، ليأتي لها بإبلها . فلما وردت ابل النعمان ، أخذ مالها ، فسلمه اليها ، ثم فرّ يطلب لـه مجيراً فلم يجره أحد قائلين له : من يجيرك على هوازن والنعمان ؟ ويختفي اسم المنذر فجأة في هذه الرواية ، ويظهر اسم الملك النعمان كما في الرواية السابقة ، ولكن دون تصريح باسم والد النعمان ، وهو امرؤ القيس[3] .

---

١ نهاية الأرب (١٥/٣٥٣) ، (يوم الخريبة) ، العقد الفريد (٦/٧ وما بعدها) .
٢ الأغاني (١٠/٢٢ وما بعدها) .
٣ الكامل (١/٢٢٣ وما بعدها) .

ثم تستمر الرواية فتأخذ الحارث الى الشأم ، ليستجير بيزيد بن عمرو الغساني من النعمان وهوازن ، فيجيره ويكرمه ، ولكنه يذبح ناقة ليزيد ، ثم يقتل امرأة أرسلها يزيد لتحرّي بيت الحارث ، ثم يقتل الكاهن الذي تكهن بعقر الحارث للناقة وبقتله للمرأة . فلم يبق أمام يزيد إلاّ قتل الحارث ، فأمر به فقتل[1] . وعلى هذه الصورة انتهت حياة رجل هو في نظر الأخباريين بطل من أبطال المغامرات والمفاجآت .

وأما الرواية التي تذكر أن ذلك الملك هو النعمان بن امرىء القيس فتقول إن النعمان بن امرىء القيس كان قد تزوج بنتاً من بنات زهير بن جذيمة بن رواحة العَبْسي ، وهو من السادة الأشراف ، فأرسل النعمان ذات يوم الى زهير يستزيره بعض أولاده ، فأرسل ابنه شأساً ، وكان أصغر ولده ، فأكرمه وحباه ، ورجع بهدايا وألطاف كثيرة . فلما بلغ ماء من مياه غني بن أعصر ، طمع به رباح بن الأشل ، فقتله ، واستلب ما كان معه . فلما سمع زهير بمقتل ولده ، جاء ديار غني ، وأخذ يغير عليها ، حتى قتل منها مقتلة عظيمة ، فاستجارت غني بحلفائهم بني عامر بن صعصعة ، فأنجدوها . وتوسعت الحرب ، فاشتركت بها هوازن ، وكانت تحقد على زهير لأنه كان يسر بها خسفاً ويجبيها الإتاوة كل سنة بعكاظ ، وترأس خالد بن جعفر بن كلاب غنياً وبني عامر وهوازن ، فقتل زهيراً ، وعاد أبناؤه بجسده ليواروه التراب . وذهب خالد بعد مصرع زهير الى النعمان مستجيراً به حين علم أن غطفان ستطلبه به ، فأجاره ، وضرب له قبّة وحماه . وبينما كان في مجلس النعمان ، قدم الحارث بن ظالم الى المجلس ، وجرى بينه وبين خالد كلام ، أغلظ فيه خالد على الحارث ، فحقد الحارث عليه وقرر الانتقام منه ، فاغتاله وهرب . فجعل النعمان يطلبه ليقتله بجاره ، وهوازن تطلبه لتقتله بسيدها خالد . فلحق ببني دارم من تميم ، واستجار بهم ، فأجاروه على النعمان . فلما علم النعمان ذلك ، جهز جيشاً الى بني دارم ، فلما سمعوا بمجيء الجيش عليهم ، استعدوا له ، وأرسلوا أموالهم الى بلاد بغيض ، واستعدوا مع بني مالك بن حنظلة وبني عامر للقتال . فلما التقوا بجيش النعمان ، قتل رئيس جيش النعمان ، وانهزم الجيش . وقيل : إن الحارث بن ظالم ركب الى الحيرة متخفياً ، واستاق إبلاً

---

١ الكامل (١/٢٣٤) .

له كان قد استولى عنيها النعمان ، وقتل أحد أبنائه ، وفر[1] .

وهناك رواية تجعل النعمان المذكور النعمان بن المنذر ، وتجعل الولد القتيل إبناً لهذا النعمان . وجعلت رواية أخرى قتل الحارث لخالد في عهد الأسود ، ثم تذكر أنه هرب منه . ثم إن رجلاً من بني زيد مناة كان بعض حشم النعمان قد أخذوا إبله وأهله ، استجار بالحارث فركب الحارث حتى أتى النعمان ، فقال : أبيت اللعن ! إنك أخذت نساء جاري ، وماله ، وأنا له جار . فذكره النعمان بقتله خالداً ، وهو في جوار الأسود أخيه . ثم إن النعمان أوعد الحارث وعيداً شديداً. فمضى الحارث ، وندم النعمان على تركه،وطلبه ففاته ، وكان للنعمان ابن مسترضع عند (سنان بن أبي حارثة) ، وكانت سلمى بنت ظالم تحت سنان ، فجاء الحارث الى أخته على لسان سنان ، حتى أعطته ابن النعمان ، فضرب عنقه ولحق بمكة . فجاور عبدالله بن جُدعان[2] .

وأما قتل (الحارث بن ظالم) ، فالروايات مختلفة فيه ، منها ما جعل قاتله: (يزيد بن عمرو الغساني) على نحو ما رأيت . ومنها ما جعل قاتله ملكاً من ملوك غسان تسميه النعمان . ومنها ، وهي رواية من روايات أهل الكوفة ، ما جعل قاتل الحارث هو الملك النعمان بن المنذر ، وتذكر قصة كيفية استدراج النعمان للحارث ومراسلته له مصرحاً له أنه قد رضي عنه وعفا عما بدر منه حتى أمن الحارث . فلما جاء الى النعمان ، وكان في قصر بني مقاتل ، أمر به فقتل . قتله ابن الخمس التغلبي ، وكان الحارث قد قتل أباه[3] .

وجاء في رواية أن (عمرو بن الخمس) هو الذي قتل الحارث ، قتله بأمر الملك الأسود بن المنذر[4] . وذكر (ابن دريد) أن قوماً زعموا أن النعمان قتل (الحارث بن ظالم) ، وهذا وهم ، لأن الذي قتله إنما هو (المنذر بن المنذر أبو النعمان)[5] . وذكر (محمد بن حبيب) . أن (سيّار بن عمرو الفزاري) المعروف بـ (ذي القوس) ، كان قد رهن قوسه على ألف بعير في قتل الحارث ابن ظالم من النعمان الأكبر[6] .

---

١ الكامل (١/٢٢٩ وما بعدها) .
٢ المحبر (١٩٣ وما بعدها) .
٣ الأغاني (١٠/٢٧ وما بعدها) .
٤ الاشتقاق (٢/٢٠٣) (طبعة أوربة) .
٥ الاشتقاق (١٧٥) .
٦ المحبر (٤٦١) .

ويظهر من (رسالة الغفران) ان (آل لخم) كانوا يعظمون (الأسود بن المنذر)[1] ، ولم يذكر سبب هذا التعظيم .

وحكم بعد الأسود أخوه المنذر بن المنذر بن النعمان ، وأمه هرّ ابنة النعمان . حكم على رواية لابن الكلبي سبع سنين[2] ، وذلك في زمان قباذ بن فيروز[3] . ولما كان حكم قباذ ، وهو (قباذ الأول) ويسمى بـ (قباذ بن فيروز) قد امتد من سنة (٤٨٨) حتى سنة (٥٣١) للميلاد[4] ، فيكون حكم المنذر اذن قد وقع في خلال هذه المدة .

واذا أخذنا بهذه الرواية ، وجب أن يكون ابتداء حكم المنذر بن المنذر في حوالي سنة (٤٩٤ م) ، وانتهاء حكمه في حوالي السنة (٥٠١ م) ، وذلك بحسب سني حكم ملوك الفرس عند المؤرخين[5] . ولكننا نواجه روايات أخرى رواها ابن الكلبي أيضاً وغيره تخالف هذا التقدير .

وبعد المنذر انتقل الملك الى ابن أخيه النعمان بن الأسود ، وأمه هي (أم الملك ابنة عمرو بن حجر ، أخت الحارث بن عمرو الكندي)[6] . اذن فهي أميرة من أمراء كندة . وقد حكم هذا الملك على رواية لابن الكلبي أربع سنين[7] ، وذلك في زمن قباذ[8] .

يظهر من رواية لـ (ثيوفانس) ان النعمان هذا أغار على حدود الروم وعلى العرب المحالفين لهم ، فاصطدم بالقائد (أوجينيوس) (Eugenius) عند موضع (بثرابسوس) (Bithrapsos) (البئر) على الفرات ، فأصيب بخسارة فادحة. ولا نعرف على وجه التحقيق سنة وقوع هذا الحادث ، والمظنون انه كان حوالي سنة (٤٩٨ م)[9] .

---

١ رسالة الغفران (١٣٣) .
٢ الطبري (٢/٩٤) ، (٢/١٠٤) (دار المعارف) .
٣ حمزة (ص ٦٩) .
٤ Ency., 4, P. 278.
٥ Ency. 4, P. 178.
٦ الطبري (٢/٩٤) ، (٢/١٠٤) ، (دار المعارف) ، حمزة (٦٩) .
٧ الطبري (٢/٩٤) ، (٢/١٠٤) ، (دار المعارف) .
٨ حمزة (ص ٦٩) .
٩ Rothstein S. 74, Theophanes, 217, Huart, I, S. 66,
J. Bury : History of the Later Roman Empire, London, 1931, Vol., I, P. 434.

واشترك النعمان أيضاً في الحرب التي وقعت بين الروم والفرس حوالي سنة (٥٠٢ للميلاد) ، اذ رجا منه قباذ أن يهاجم حدود الروم من جهة الجنوب ، فهاجمها في قطاع (حران) (Carrhae) [١] واصطدم بالقائدين (أوليمبيوس) (Olympius) و (أوجينيوس) (Eugenius) فتغلبا عليه ، غير انه أعاد الكرة فتغلب عليهما . وفي المعركة التي وقعت على مقربة من (قرقيسياء) (Circesium) على الخابور أصيب بجرح بليغ في رأسه فقضى عليه[٢] .

وفي أثناء غياب النعمان ومعظم جنوده عن الحيرة ، انتهز العرب الذين في بلاد الروم الملقبون بـ (بني ثعلبة) (طايوس دبيت رومين د متقربن دبيت ثعلبة)[٣] هذه الفرصة ، فأغاروا على عاصمته ، وأخذوا كل ما أمكنهم أخذه، فاضطر من كان قد تخلف في الحيرة من جيش النعمان الى الفرار الى البادية[٤] . ويخيل اليّ ان ذلك كان على أثر اصابة الملك بجرحه المميت .

وتولى الحكم رجل من (آل لخم) اسمه (أبو يعفر بن علقمة بن مالك بن عدي بن الذميل بن ثور بن أسس بن ربي بن نمارة بن لخم) ، بعد النعمان[٥] . فهو من (ذميل) و (ذميل) بطن من بطون لخم[٦] . ولم يتحدث أصحاب الأخبار عن علاقة هذا الرجل بالأسرة المالكة ولا عن كيفية تعيينه والأسباب التي أدت الى اختياره لهذا المنصب ، وكل ما ذكرته انه حكم ثلاث سنين ، ثم انتقل الحكم من بعده الى المنذر بن امرىء القيس البدء ، وهو ذو القرنين ، وذلك في رواية للطبري عن ابن الكلبي[٧] .

أما حمزة الأصبهاني ، فجعل بعد أبي يعفر ابناً للنعمان الأعور سماه امرأ القيس ابن النعمان بن امرىء القيس . قال : انه هو الذي غزا بكراً يوم (أوارة) في دارها ، وكانوا أنصار بني آكل المرار وهزمهم . وكانت بكر قبله تقيم أود ملوك الحيرة وتعضدهم . ونسب اليه بناء حصن (الصنبر) زاعماً ان الذي بناه

---

١ Josua Stylites, 51, Rothstein, S. 74.
٢ Josua Stylites, 57, Rothstein, S. 74.
٣ Rothstein, S. 74.
٤ Rothstein, S. 74.
٥ الطبري (٢/٩٤) ، (٢/١٠٤) ، (دار المعارف) .
٦ حمزة (ص ٦٩) .
٧ الطبري (٢/٩٤) ، (٢/١٠٤) ، (دار المعارف) .

له هو البنّاء الرومي الشهير سنمار ، وانه هو الذي قتل ذلك البناء . وجعل مدة حكمه سبع سنين[1] ، وذلك في زمن قباد[2] .

وقال (حمزة) : وفيه قال المتلمس :

جزاني أخو لخم على ذاتِ بيننا جزاء(سنمار)وما كان ذا ذنبِ[3]

وذكر حمزة ان حصن صنبر المذكور ، وهو من عمل (سنمار) ، هو الذي قال فيه أحد الشعراء :

ليت شعري متى تخبّ بـه النا قة نحو العُذَيب والصنبر[4]

ويعرف المنذر هذا عند أكثر الأخباريين بالمنذر بن امرىء القيس بن النعمان وبـ (ذي القرنين) وبـ (المنذر بن ماء السماء) وبـ (ابن ماء السماء) . وماء السماء هي أمه على زعمهم ، وهي : مارية ابنة عوف بن جشم بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط في رواية ابن الكلبي التي دوّنها الطبري[5] . وذكر حمزة نسب ماء السماء كما ذكره الطبري ، غير أنه جعل الاسم ماوية بدلاً من ماريـة[6] ، ولا أراه إلا خطأ من النساخ في كتابة الاسم أدى الى هاتين الصورتين .

وأما سبب تلقيبه بذي القرنين ، فيقال إنه لقب بذلك لضفيرتين كانتا له من شعره ، فعرف بهما لذلك[7] .

وتلقيب ابن الكلبي امرأ القيس والد المنذر بالبـدء هو خطـأ ولا شك ، إذ لا يعقل أن يكون هذا المنذر ابناً لامرىء القيس البدء المتوفي سنة ٣٢٨ للميلاد .

ويلاحظ أن الأخباريين لقبوا امرأ القيس الآخر الذي حكم بعد أوس بن قلام

---

١ حمزة (ص ٧٠) ، (وهو صاحب سنمار الذي قتله حين بنى له الخصن الذي يسمى الصنين) ، مفاتيح العلوم (ص ٦٩) .
٢ حمزة (ص ٧٠) .
٣ حمزة (ص ٧٠) .
٤ حمزة (ص ٧٠) .
٥ الطبري (٢/٩٤) ، الروض الأنف (١/٢٢) .
٦ حمزة (ص ٧٠) (وكانت تسمى مارية) ، مفاتيح العلوم (ص ٦٩) .
٧ الطبري (٢/٩٤) .

بالبدء كذلك ، مع أنه مسبوق على حدّ قولهم بملك آخر اسمه هـذا الاسم . فلا يجوز تلقيب صاحبنا هذا إذن بالبدء . ولا يجوز بالطبع تلقيب امرىء القيس الآخر الذي زعم انه والد المنذر بالبدء أيضاً ، لأنه ثالث المراقسة في ترتيب اسماء الملوك بحسب رواية الأخباريين .

ولا نعلم شيئاً يذكر من أمر امرىء القيس والد المنذر ، فهم لم يشيروا اشارة صريحة الى أنه كان ملكاً . فهل هو امرؤ القيس بن النعمان الذي جعله حمزة ملكاً بعد أبـي يعفر ؟ لا يستبعد أن يكون هو إن صحت رواية حمزة .

ويلاحـظ أن المؤرخين البيزنطيين واللاتين قـد أطلقوا على المنذر (Alamoundaros O Sacicus) و (Alamundarus O Sacices), و (Alamundarus O Secicis) وغير ذلك[1] ، ممـا يفهم منـه أنهم قصدوا بـ (Sacicus) و (Secicis), (Sicices) وأمثال ذلك كلمة (شقيقة) (الشقيقة) العربية ، وأنهم ارادوا المنذر بن الشقيقة ، وهو هذا المنذر الذي نتحدث عنه في رأي المستشرقين ، لذلك ذهب بعض المستشرقين الى أن أم المنذر هي (الشقيقة) (شقيقة) ، وذهب آخرون الى أنها لم تكن امه ، وإنما قيل له ذلك لأنه كان من آل الشقيقة الشهيرة ، فعرف عند أولئك المؤرخين بابن الشقيقة أو بالمنذر ابن الشقيقة كما دعي الملوك بعد المنذر ببني ماء السماء[2] .

أما الأخباريون فقد جعلوا شقيقة أماً للنعمان الأعور كما رأيت ، ولم يشيروا الى ملك اسمه المنذر واسم امه شقيقة ، فأيهما المصيب ؟ الأخباريون أم المؤرخون اليونان واللاتين والسريان ؟ وهل نحن أمام ملك آخر اسمه المنذر بن الشقيقة حكم في أوائل القرن السادس للميلاد ؟

وذكر الأخباريون ان المنذر كان قد تزوج هنداً بنت آكل المرار[3] ، فولدت له أولاداً منهم عمرو بن هند الذي ولي الملك بعده ، وقابوس ، ثم تزوج أختها أمامة فولدت له ولداً اسمه عمرو وهو المقتول بوادي القضيب[4] .

---

١ Rothstein, S. 76.
٢ Rothstein, S. 76.
٣ الروض الأنف (١/٢٢) .
٤ البلدان (٧/١١٨) ، (وهو ابن مامة) ، الروض الأنف (١/٢٢) .

ويرى بعض الباحثين ان حكم (المنذر) كان في حوالي السنة (٥٠٨ م) ، أو قبل ذلك بقليل في حوالي السنة (٥٠٦ م) . وأما انتهاء ملكه فكان في حوالي السنة (٥٥٤ م)[١] .

وكان قباذ قد عقد صلحاً في عام (٥٠٦) للميلاد مع الروم بعد الحرب التي استمرت من سنة (٥٠٢) حتى سنة (٥٠٦ م) ، غير ان هذا الصلح لم يدم طويلاً . ففي سنة (٥١٨) للميلاد تجدد الخلاف بين الفرس والروم ، وذلك على أثر مطالبة قباذ القيصر (جستينوس) (يوسطينوس) (Justinus) الأول بدفع الاتاوة التي اتفق في صلح (٥٠٦ م) على دفعها للفرس . وبناء على تباطؤ القيصر في دفعها حرّض قباذ المنذر على التحرش بحدود الروم ، وقام المنذر بغزوها في سنة (٥١٩ م)[٢] .

لقد تمكن المنذر في بعض حروبه مع الروم من أسر قائدين هما(ديموستراتوس) (تيموستراتوس) (Timostratus) (Demostratus) ويوحنا (Johannes)[٣]. وأراد القيصر أن يفك أسر هذين القائدين ويعقد صلحاً وحلفاً بين الروم والمنذر، فأرسل – على ما يظهر – رسولاً خاصاً الى المنذر هو (ابراهيم) (Abraham) والد الكاتب المؤرخ (نونوسوس) (Nonnosus) ، ومعه (شمعون الأرشامي) (Symeon of Beth Arsham) و (سرجيوس) (Sergius) أسقف الرصافة (بيت رصافة) . وقد وصل الوفد الى المنذر في السنة السادسة (السنة السابعة) من حكم (جستينوس) (يوسطينوس) الموافقة لسنة (٨٣٥) من التقويم السلوقي ولسنة (٥٢٤) للميلاد[٤] . وكان المنذر آنئذ في البادية في موضع اسمه (رمله) (الرملة) . وقد نجحت مهمته فيما يخص فك أسر القائدين .

و (سرجيوس) هو مؤلف القسم السرياني الخاص بشهداء العربية الجنوبية ، أي شهداء نجران[٥] . وقد دوّنت في عهد أسقفيته على الرصافة أسماء الشهداء على

---

١ J. B. Bury, II, P. 91.

٢ Rothstein, S. 79.

٣ Rothstein, S. 80, Land, Anecd., III, 235.

٤ Kitab Al-Unvan, Histoire Universelle Ecrite, par Acapius (Mahbub), de Menbidj, Seconde Partie, II, P. 425.

٥ Musil : Palmyrena, P. 267, Guidi : La Lettera di Simeone Vescova di Beth Arsham, P. 507.

الجدار الشمالي للكنيسة الكبرى ، كنيسة القديس سرجيوس[1] .

وصادف وصول وفد الروم الى المنذر وصول وفد آخر من اليمن أرسله ذو نواس الملك الشهير المعروف بتعذيبه نصارى نجران الى المنذر ليفاوضه على تعذيب من في مملكته من النصارى . وقد دوّن (شمعون الأرشامي) قصة التعذيب هذه مدعياً انه نقلها من الكتاب الذي قريء على الملك ومن أقوال من عرفه من الحاضرين، دوّنها في صورة كتاب ليقرأ في الكنائس ويطلع عليه المؤمنون . وقد نشر هـذا الكتاب ، وطبعت ترجمته كذلك[1] .

وذكر ان القيصر (جستينوس) (يوسطينوس) (Justinus) كتب الى المنذر ابن النعمان طالباً منه اخراج من في أرضه من القائلين بالطبيعة الواحدة[2] . وقـد جادلهم في مجلس عقده بحضرة المنذر (شيلا) الجاثليق . فلما سمع هؤلاء بذلك ، هرب بعضهم الى نجران واقـاموا هناك . وكان من مؤيديهم الحجاج بن قيس الحيري صاحب المنذر .

يظهر ان امل القيصر في عقد هدنة أو معاهدة مع المنذر لم يتحقق ، أو أنـه تحقق ولكن الى حين . فلما ساءت العلاقات بين الروم والفرس ، ووقعت الحرب سنة (٥٢٨ م) بين الجانبين ، هاجم المنذر الروم مؤيداً الفرس ، وكان له أثر خطير في هذه الحرب . وقد توغل في بلاد الشأم ، وغنم منها غنائم كثـيرة ، ولكنه لم يبق فيها أمداً طويلاً ، فعاد مع جنوده سريعاً الى قاعدته كعادة سائر الملوك بعد أن أشبع نفسه من غنائم الحرب[3] .

ونجد المنذر يجدد هجومه على بلاد الشأم ، بعد مدة قصيرة من هجومه الأول. لقد هاجمها سنة (٥٢٩ م) وتوغل فيهـا حتى بلغ حدود أنطاكية ، وأحرق

---

١ Musil, Palmyrena, P. 265.

٢ Land : Anecd., 3, 235, Assemani : Bibl. Orient., I, 364.

٣ (يوسطينيانس) ، (وفي هذه السنة وجه يوسطينيانس وفدا الى المنذر ملك العرب ليصالحه ، لأنه كان غزا الروم وخرب وسبا . وكان سبب الفتنة بـين العرب والروم اضطهاد الملك يوسطينيانس الآباء ، القائلين بالطبيعة الواحدة ، لأن النصارى العرب يومئذ انما كانوا يعتقدون اعتقـاد اليعقوبية لا غير) . ابن العبري . تاريخ مختصر الدول (ص ١٤٨) ، Histoire Nestorienne, (Chronique de Seert), Seconde Partie, P. 143.

٤ Nöldeke :Sasa., II, Anm. 3, Malalas, II, 166, Rothstein, S. 81.

عدداً من المواضع ومنها موضع (خلقيدون) (خلقيدونية) (Chalcedon) . وقد زعم بعض المؤرخين السريان أنه ضحى بأربع مئة راهبة للعزّى [1] ، وهي دعوى تحتاج بالطبع الى درس .

وقد عرض ابن العبري لتوغل المنذر في أرض الروم ، واستيلائه على أرضين واسعة شملت كل منطقة الحدود ، ومنها أرض الخابور ونصيبين ، حتى بلغ (حمص) (Emessa) و (أباميا) (فامية) (Apamea) وأنطاكية (Antioch) زاعماً أنه قتل عدداً كبيراً من السكان ، وخرب أكثر تلك الأرضين ، ذاكراً أنه اختار من بين الأسرى أربعمئة راهبة أخذهن لنفسه ، غير انه لم يذكر أنه قدمهن قرباناً الى العزى [2] .

وقد اضطر هذا الغزو القيصر (يوسطنيانوس) (Justinianus) الذي خلف (يوسطينوس) الى نصب الحارث الجفني (فيلارخا) (فيلاركا) (Phylarch) ، أي عاملاً على عرب بلاد الشأم لحماية الحدود من اعتداءات المنذر وعرب العراق [3].

وقد عوّض قباذ الخسارة التي لحقت به عند موضع (دارا) بربح ناله بواسطة المنذر.لقد قام المنذر وأحد القوّاد الفرس بمهاجمة منطقة الفرات (Euphratesia) وهي منطقة (قوماجين) (Commagene) ، فلما تصدى لهما القائد (بليزاريوس) (Belisarius) تراجعا ، ثم التقيا به عند الرقة (Callinikos) فانتصرا عليه. وقد كان ذلك في السنة الرابعة من حكم (يوسطنيانوس) (Justinianus) أي في سنة (٥٣١ م) [4] .

وقد اشترك الحارث بن جبلة في هذه الحرب مع الروم ، وأنيطت به حماية الجانب الأيمن في القتال الذي اضطرم مع الفرس . أما المنذر وجيشه ، فكان يكوّن الجناح الأيسر لجيش الفرس ، أي الجناح المقابل لعرب الروم [5] .

---

١ Malalas II, 166, Nöldeke : Ghass., II, Theophanes, 273. Land : Anecd: Syr., III, P. 247, Rothstein, S. 81, Pauly-Wissowa, Erster Band, 1893, S. 1281.

٢ Bar Hebraeus, 78, Nöldeke : Aufstäze, 112.

٣ Rothstein, S. 81.

٤ Procopius, I, 17, 18, Rothstein, S. 81, Pauly-Wissowa, Erster Halbband, 1893, 1281.

٥ Musil : Palmyrena, P. 274, Procopius : De Bello, I, 17.

وعلى الرغم من الصلح الذي عقد في عام (٥٣٢ م) بين الفرس والروم ، لم ينقطع النزاع بين الحارث الجفني والمنذر بسبب اختلافهما على الاتاوة التي تجبى من أعراب الـ (Strata) ، أي المنطقة الواقعة في جنوب تدمر ، وهي منطقة رعي لا شجر فيها ولا زراعة . وقد زعم (بروكوبيوس) أن كسرى، حرض المنذر على التحرش بالحارث ، للاخلال بشروط الصلح ، وايجاد سبب لتجديد الحرب ، وأن القيصر يوسطنيانوس (Justinianus) كلف رجلين من ثقاته وهما (ستراتيجيوس) (Strategius) ، وهو من أصحاب الخبرة والحنكة في الشؤون الادارية ، و (سوموس) (Summus) وهو ممن قادوا الجيوش في فلسطين ومن السفراء الذين سبق أن كلفوا القيام بمهمات سياسية فأرسل رسولاً الى نجاشي الحبشة والى ملك حمير (Homeritae) دراسة النزاع وايجاد حل للمشكلة . فأشار (سوموس) على القيصر بعدم اجابة طلب المنذر وبالاحتفاظ بالأرض ، أما (ستراتيجيوس) ،فقد رأى ان الموضوع تافه وأن الأرض المتنازع عليها لا تستحق كل هذا الاهتمام . وقد مضى وقت طويل دون أن يحزم القيصر برأي[١] .

وفي هذه الأثناء ادعى كسرى ان القيصر قد أخل بشروط الصلح باتصاله بالمنذر (Alamoundarus) وبمحاولته التأثير عليه وجره اليه . وبارساله (سوموس) الى المنذر مع كتاب خاص من القيصر يمنيه بالوعود وبمبالغ كبيرة من المال اذا انضم الى الروم ، وبأمور أخرى اتخذها حجة لاعلان اخلال الروم بالصلح[٢] . وصار يتهيأ لحرب جديدة حتى تهيأت له الأسباب ، وذلك في عام (٥٤٠ م)[٣] .

وبعد مراسلات بين الفرس والروم دوّن بعضها (بروكوبيوس) ، وهي مراسلات جميلة ترينا فن الدبلوماسية ومنطق الملوك في ذلك العهد ، هاجم الفرس الروم . وغزا الحارث أرض الجزيرة للوقوف على قوة الفرس ومقدرتهم[٤]، وهاجم المنذر بلاد الشأم فبلغ فينيقية ، وتوغل في مناطق واسعة من لبنان[٥] .

وقد أشار الطبري الى هذا النزاع الذي وقع بين المنذر والحارث بن جبلة ،

---

١ Procopius, II, I, Gibbon, II, P. 607, (The Modern Library).
٢ Procopius, II, 12-15.
٣ Procopius, II, V, Vol., I, P. 295, (Dewing).
٤ Procopius, II, XVI, 4-6, II, XIX, 15-20.
٥ Procopius, II, XII, XIX, 32-46.

في أثناء كلامه على الحبشة في اليمن وعلى دخول الفرس اليها، كما أشار الى الموادعة والهدنة التي عقدت بين كسرى أنو شروان والقيصر ، وقد سماه (يخطيانوس) ، أي (جستنيان) (جستنيانوس) (Justinianus) ، فقال : « وكان فيما ذكر بين كسرى أنو شروان وبين يخطيانوس ملك الروم موادعة وهدنة. فوقع بين رجل من العرب كان ملّكه يخطيانوس على عرب الشأم يقال له خالد بن جبلة وبين رجل من لخم كان ملّكه كسرى على ما بين عمان والبحرين واليمامة الى الطائف وسائر الحجاز ومن فيها من العرب يقال له المنذر بن النعمان نائرة . فأغار خالد ابن جبلة على حيز المنذر ، فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة وغنم أموالاً من أمواله فشكا ذلك المنذر الى كسرى وسأله الكتاب الى ملك الروم في انصافه من خالد ، فكتب كسرى الى يخطيانوس يذكر ما بينهما من العهد على الهدنة والصلح ويعلمه ما لقى المنذر عامله على العرب من خالد بن جبلة الذي ملكه على من في بلاده من العرب ، ويسأله أن يأمر خالداً أن يرد على المنذر ما غنم من حيزه وبلاده ويدفع اليه دية من قتل من عربها وينصف المنذر من خالد وان لا يستخف بما كتب به من ذلك فيكون انتقاص ما بينهما من العهد والهدنة بسببه . وواتر الكتب الى يخطيانوس في انصاف المنذر فلم يحفل بها . فاستعد كسرى فغزا بلاد يخطيانوس في بضعة وتسعين الف مقاتل فأخذ مدينة دارا ومدينة الرهاء ومدينة منبج ومدينة قنسرين ومدينة حلب ومدينة انطاكية وكانت أفضل مدينة بالشام ومدينة فامية ومدينة حمص ومدناً كثيرة متاخمة لهذه المدائن عنوة واحتوى على ما كان فيها من الأموال والعروض وسبى أهل مدينة انطاكية ونقلهم الى أرض السواد »[1] .

ويظهر من سياق هذه الرواية ان الطبري لم يكن على علم واضح بالمنذر بن النعمان ولا بخالد بن جبلة . وقد نقل روايته هذه من غير نقد ولا مناقشة . فالشخص الذي تخاصم المنذر معه هو الحارث بن جبلة ، لا خالد بن جبلة . وقد وهم المورد الذي نقل الطبري منه ، فظن انه خالد بن جبلة . وهو مورد يظهر كما يتبين من سياق الحديث انه اعتمد على كتاب من كتب التأريخ ، لعله من المؤلفات الفارسية أو السريانية، وقد نقل الدينوري منه أيضاً، فذكر خالد بن جبلة[2].

---

١ الطبري (٢/١٢١ وما بعدها) ؛ (٢/١٤٩) ، (دار المعارف) .

٢ الأخبار الطوال (٧٠ وما بعدها) .

وفي رواية الطبري عن ملك المنذر مبالغة على ما يظهر ، فليس في الأخبار التي يرويها الأخباريون عن هذا الوقت رواية واحدة يفهم منها ان نفوذ الفرس قد شمل هذه الأرضين الواسعة الممتدة من الحجاز الى ساحل الخليج . وليس فيها خبر واحد يفهم منه ان ملك المنذر قد شمل الطائف وسائر الحجاز . ولو كان ملكه قد بلغ هذه البلاد لوعت ذلك ذاكرة أهل الأخبار شيئاً عنه،اذ انه لم يكن بعيد عهد عن الاسلام .

ولم تنقطع المناوشات بين الحارث والمنذر ، بالرغم من الهدنة التي اتفق الفرس والروم على عقدها لمدة خمس سنوات وذلك في سنة (٥٤٥ م)[١] . فبعد مدة قصيرة من التوقيع عليها ، عادت نيران الحرب فاستعرت بين الحارث والمنذر من غير أن يتدخل الفرس أو الروم في هذا النزاع . وقد تمكن المنذر من مباغتة أحد أبناء الحارث : وكانيكلىء خيله في البادية ، فأسره ، وقدمه على ما يقوله بروكوبيوس ضحية الى العزى (Aphrodite)[٢] . وبعد أن جمع كل واحد منهما كل ما يملك من قوة ومن حديد ، اشتبكا في حرب جديدة انتصر فيها الحارث انتصاراً كبيراً،وقتل عدداً كبيراً من جنود خصمه . فلما رأى ما حل به ، فر هو ومن بقي حياً من أتباعه ، تاركاً اثنين من أبنائه في جملة من وقع في الأسر[٣].

وقد تكون غارة قيس بن سلمة بن الحارث الكندي على الحيرة غارة انتقامية من المنذر لما أنزله بآل كندة من خسائر. ويظهر أن قيساً قد باغت المنذر وفاجأه بغارة خاطفة اضطرته الى الهزيمة والالتجاء الى الخورنق مع ابنيه عمرو وقابوس . وبعد مضي عام على هذه الهزيمة ، انتقم المنذر لنفسه بغارة أغارها على كندة كلفت الكنديين اثني عشر أميراً من بني حجر بن عمرو وقعوا في أسره في مكان يسمى ذات الشقوق ، ثم أمر بعد ذلك بضرب أعناقهم في الجفر ، وهو الموضع الذي أطلق عليه لهذه الحادثة جفر الأملاك ، وهو موضع (دير بني مرينا) الذي أشير اليه في الشعر المنسوب لامرىء القيس[٤] .

ويذكر أهل الأخبار أن الشاعر (امرأ القيس الكندي) كان في جملة من

---

١ Procopius, II, 28, 9-11.
٢ Procopius, II, 28, 12-14.
٣ Procopius, II, 28, 13-14.
٤ شعراء النصرانية (ص ٤) .

وقع أسيراً ، الا أنـــه افلت من الأسر ونجا بنفسه ، فقال شعراً يرثي به من قتل ، منه :

ملوك من بني عمرو بن حجر يساقون العشية يقتلونـــا
فلو في يـــوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بني مرينـــا
ولم تغسل جـــماجمهم بغسل ولكن في الدماء مُرمَّلينا

فهو يتـــألم ويتأفف من سقوط قومه قتلى ، لا في حرب ولا في معركـــة ، ولكن في (ديار بني مرينا) ، فأية مصيبة أعظم من هذه المصيبة ؟ ملوك أحرار شجعان يقتلون في مثل هذه الديار .

وفي رواية أن الذين قتلوا من بني حجر آكل المرار في جفر الأملاك هم تسعة واستشهدت على ذلك بشعر للحارث بن حلزة جاء فيه :

وفـديناهم بتسعة أمـــلا ك كرام أسلابهم أغلاء[1]

وأشير في قصيدة هذا الشاعر الى الجون . وهو جون آل بني الأوس ، وهو في شرح الرواة ملك من ملوك كندة ، وهو ابن قيس بن معديكرب . قالوا : وكان الجون جاء ليمنع بني آكل المرار ، ومعه كتيبة خشناء ، فحاربته بكر ، فهزموه ، وأخذوا بني الجون ، فجاؤوا بهم الى المنذر ، فقتلهم[2] .

وفي بعض الروايات أن المنـــذر توسط لعقد الصلح بين بكر وتغلب واشترط ان أي رجل وجد قتيلاً في دار قوم فهم ضامنون لدمه ، وإن وجد بين محلتين قيس ما بينها ، فينظر أقربهما اليه ، فتضمن ذلك القتيل . وأخـــذ من الفريقين رهناً بأحداثهم ، فمتى التوى أحد منهم بحق صاحبه أقاد من الرهن[3] .

وفي عهد هذا الملك وقـــع (يوم طخفة) بحسب رواية بعض الأخباريين .

---

١ الأغاني (٤٨/١١) (طبعة دار الكتب المصرية) ، شرح المعلقات السبع للزوزني (دار صادر) (ص ١٦٦) .

٢ الأغاني (٤٨/١١) (طبعة دار الكتب) ، الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، (ص ١٦٥) (صادر) .

٣ الأغاني (٤٤/١١) (دار الكتب المصرية) .

ويذكر هؤلاء أنه وقع بسبب (الردافة) وقيل : (الرفادة) . فقد كانت ردافة ملوك الحيرة في (بني يربوع) ، وكانت لعتاب بن هرمي بن رياح بن يربوع في عهد (المنذر بن ماء السماء) . فلما توفي ، صارت الى ابنه (قيس ابن عتاب) (عوف بن عتاب الرياحي) بحكم الوارثة ، وكان حديث السن ، فأشار (حاجب بن زرارة) على الملك أن يجعلها لرجل كهل له سن وعقل ، وأشار عليه باختيار (الحارث بن بيبة المجاشعي) (الحارث بن مرّة بن سفيان ابن مجاشع)[1] ولما فاتح الملك (بني يربوع) برأيه هذا : غضبوا وأبوا ، وأصر الملك على رأيه ، والا حاربهم ، فأبوا واستعدوا للقتال ، وساروا الى موضع (طخفة) وتحصنوا به ، فأرسل المنذر في أثرهم جيشاً كبيراً من افناء الناس ، عليه حسان أخوه وقابوس ابنه وبعث معهم الصنائع والوضائع ، اشتبك مع (بني يربوع) في هذا المكان،وصبر بنو يربوع وثبتوا ، ثم أغاروا على جيش المنذر، فانهزم ووقع القتل فيه ، وانهزم قابوس ومن معه،وضرب طارق أبو عميرة (طارق ابن عميرة) فرس قابوس فعقره وأسره،وأراد أن يجز ناصيته ، فقال : إن الملوك لا تجزّ نواصيها ، وأسر حساناً بشر بن عمرو بن حُجوين[2] ، فعاد المنهزمون الى المنذر،وكان المنذر قد احتبس (شهاب بن عبد (قيس) بن كياس اليربوعي) عنده. فلما رأى سوء العاقبة ، استدعاه ، فقال له : « يا شهاب ، أدرك ابني وأخي، فان أدركتهما حيين ، فلبني يربوع حكمهم ، وأردّ عليهم ردافتهم ، وأترك لهم من قتلوا وما غنموا ، وأعطيهم ألفي بعير » ، فذهب الى قومه وأعادهما ، ووفى الملك بما قال . ونجد للأحوص وللفرزدق ولأم موسى الكلابية شعراً في هذا اليوم[3] .

وفي عهد المنذر ، كان يوم (أوارة الأول) على قول أهل الأخبار . وسببه

---

١ نهاية الأرب (١٥/٤١٣) . (٢٢ نهاية الأرب (١٥/٤١٣) ، الاشتقاق (١٤٧) ، (ومنه طخفة لبني يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء) ، اللسان (٩/٢١٣) ، (دار صادر) (طخف) .

٢ نهاية الأرب (١٥/٤١٣) ، (بشر بن عمرو والرياحي) ، العمدة لابن رشيق (٢/٢٠١) .

٣ البلدان (٦/٣٢) ، النقائض (١/٦٦ ، ٢٨٥) ، (٢/٩٢٤) ، الأغاني (٣/١٧٦) ، ابن الأثير (١/٣٩٦) ، العقد الفريد (٣/٣٥٩) ، أيام العرب (٩٤) .

أن تغلب لما أخرجت (سلمة بن الحارث) عنها ، التجأ الى (بكر بن وائل) ولما بلغ بكراً أذعنت له تغلب ودانت لحكمه ، وقالت له : « لا يملكنا غيرك» فأرسل اليهم (المنذر) يدعوهم الى طاعته ، فلم يجيبوه ، فحلف المنذر ليسيرن اليهم فان ظفر بهم ذبحهم على قلة جبل أوارة حتى يبلغ الدم الحضيض ، وسار اليهم بمجموعه ليبر بقسمه ، والتقى بهم بأوارة ، فهزمت بكر ، وأسر (يزيد ابن شرحبيل الكندي) ، فأمر المنذر بقتله فقتل ، وقتل خلق كثير من بكر ، وأمر المنذر بذبح الأسرى الرجال على قلة جبل أوارة ، وباحراق النساء ، والى ذلك أشار الأعشى بقوله :

سبايا بني شيبان يوم أوارة على النار إذ تجلى به فتياتها[1]

وختم عام (٥٥٤ م) هذا النزاع العنيف الذي أتعب الحارث والمنذر فاستراح الجانبان ، ختم بسقوط المنذر بن النعمان (مونذر بر نعمن) (ملك العرب) صريعاً بيد خصمه الحارث بن جبلة بعيداً عن عاصمة ملكه ، ففي منطقة قنسرين على روايات المؤرخين السريان ، ففي السنة السابعة والعشرين من حكم القيصر (يوسطنيانوس) (جستنيان) (Justinianus) هاجم المنذر منطقة (Rhomaye) التابعة لحكم الروم ، فنازله الحارث بن جبلة ، وتغلب عليه ، وقتله عند عين (عوذايا) (Wdaja) في منطقة قنسرين . وقد سقط في هذه المعركة أحد أبناء الحارث ، فدفنه أبوه في قلعة هذا الموضع[2] .

و (عوذايا) ، هو (العذية) على رأي موسل ، وهو من مواضع منطقة (بالميرينا) (Palmyrena) ، أي منطقة تدمر ، ومعظم هذه المنطقة هي من أعمال قنسرين[3] .

---

١ الأغاني (١٢٢/١) ، الكامل ، لابن الأثير (٢٥٩/١) ، العقد الفريد (١٥٤/٣) ، العمدة لابن رشيق (٢١٥/٢ وما بعدها) ، المختصر في أخبار البشر (١٠٠/١) ، مراصد ، (١٢٧/١) ، اللسان (٣٥/٤) ، البكري ، معجم (٢٠٧/١) ، البلدان (٢٧٣/١) ، أيام العرب (٩٩) .

٢ أمراء غسان (ص ١٨) ،
Bar Hebraeus, 81, Vol., I, P. 76,
(The English Translation), London, 1932, Michael the Syrian,
Chronicle, Vol., 4, P. 323, Musil, Palmyrena, P. 144, Rothstein, S. 83.

٣ Musil, Palmyrena, P. 144.

وقد فهم (أوليري) من رواية للمؤرخ (ثيوفانس) ان المنذر كان حياً حتى سنة (٥٦٢ م) ، وهي السنة التي عقد فيها الصلح بين الروم والفرس ، وفيها توفي[١] .

وقد ذكر (هارتمن) (Hartmann) ان المنذر هذا خارب في صفوف الرومان في أيام القيصر (طيباريوس الثاني) (Tiberius II) ، غير انه خانهم وغدر بهم في احدى المعارك التي قادها (موريقيوس) (Mauricius) ، فلما صار (موريقيوس) قيصراً قبض عليه ، ونفى معه زوجته وبعض أبنائه الى جزيرة صقلية[٢] . ولم يقل هذا القول أحد ، وانما قصد المورد الذي استند اليه هارتمن وهو (ايواكريوس) (Evagrius) منذراً آخر غير المنذر الذي نتحدث عنه[٣] .

وسبق لأوليري ان ظن هذا الظن ، فذكر ان المنذر حدس إن في الفرس ضعفاً ، وذلك بسبب انقطاع الحروب مدة بين الفرس والروم ، فانضم الى الروم وصار حليفاً لهم ، وحارب معهم . فلما تبين لديه الأمر ، عاد الى حلفائه القدامى الفرس . فلما وقع في احدى المعارك أسيراً في أيدي الروم ،نفاه القيصر موريقيوس سنة (٥٨٠ م) ونفى معه زوجته وبعض أولاده الى صقلية[٤] . ومصدر وهمها هو اعتمادهما على رواية للمؤرخين (ايواكريوس) (Evagrius) و (نيقيفورس كالستوس) (Nicephorus Callistus) من غير أن يمحصاها . فالمنذر المقصود في هذه الرواية ليس هذا المنذر ، وانما هو المنذر بن الحارث بن جبلة الذي نفي بعد أن اتهمه الروم باتصاله من طرف خفي بالفرس ، وانه كان السبب في اخفاق الحملة التي قادها (موريقيوس) يوم كان قائداً ، فلما صار قيصراً ، انتقم منه بالنفي .

أما الذي عليه أكثر الأخباريين فهو : ان قتل المنذر كان في عين أباغ في

---

١ O'Leary, P. 160, Theophanes, P. 203.

٢ Paulys-Wissowa, Erster Halbband, S. 1281.

٣ Evagrius Scholasticus, V, 20, VI, 2, Paulys-Wissowa, Erster Halbband, S. 1281.

٤ O'Leary, P. 160, Evagrius, Hist. Eccl., 5, 60, 6, 2; Nicephorus Callistus, 18, 10.

المعركة التي عرفت بـ (يوم عين أباغ)[1] . وعين أبـاغ بحسب وصف بعض الأخباريين واد من أودية العراق وراء الأنبار على الفرات بين الكوفـة والرقة ، لا يبعد كثيراً عن الحيرة[2] . وسبب وقوع هذه المعركة على ما يقولونه ، هو أن المنذر بن ماء السماء سار من الحيرة في معد كلها حتى نزل بعين أباغ ، وأرسل الى الحارث الأعرج بن جبلة : إما أن تعطيني الفديـة فأنصرف عنك بجنودي ، وإما ان تأذن بحرب . فأرسل اليه الحارث : أنظرنا ننظر في أمرنا. فجمع عساكره وسار نحو المنذر، فلما التقى به في عين أباغ، اقتتلا ، فقتل المنذر ، وقتل فيها ابنان للحارث . فسار الحارث بولديه القتيلين الى الحيرة ، فأنهبها وأحرقهـا ودفن ابنيه بها ثم عاد[3] .

ويذكر أهل الأخبار أن (عين أباغ) كانت منازل (إياد) ، وأن (أباغ) رجل من العمالقة نزل ذلك المكان فنسب اليه . وقد اختلفت الأقوال في(عين أباغ) فمنهم من جعلها موضعاً بين الكوفة والرقة ، ومنهم من جعلها عين ماء ، ومنهم من ينكر أنها عين مـاء ، ويرى انها وادٍ وراء الأنبار على طريق الفرات الى الشأم . ومنهم من يجعلها في (ذات الخيار)[4] .

ويظهر من تعليقات ابن الأثير على هذه المعركـة ان من كان يرى أن اسم الملك الغساني الذي انتصر في هذا اليوم هو أبو شمر عمرو بن جبلـة بن الحارث ابن حجر بن النعمان بن الحارث بن الأيهم بن الحارث بن ماريـة الغساني ، أو هو رجل من الأزد تغلب على غيرهما . وقد رجح هو رواية من قال إنه الحارث

---

١ حمزة (ص ٧٠) ، ابن الأثير ، الكامل (١/٢٢٢) ، العقد الفريد (٣/٣٧٤) ، ديوان الحماسة (٢/٣٤٦) ، اللسان (١٠/٢٩٨) ، أيام العرب (٥١) .

٢ البلدان (١/٧٣) ، (٦/٢٥١) ، (١/٧٣) ، (طهران) ، البكري (١/٦٤)، ابن دريد ، الاشتقاق (٢٠٩) ، الأغاني (٢٧/١٩٨) ، الحموي ، المشترك (٣١٩) ، اللسان (٨/٤١٧) ،
Noldeke, Ghass., 18, Rothstein, S. 2, 38.

٣ ابن الأثير ، الكامل (١/٢٢٢ وما بعدها) ، (١/٣٢٠ وما بعدها) (المنيرية) . أبو الفداء ، المختصر (١/٩٧) ، ديوان النابغة (٧٤-) ، البلدان (١/٧٣) ، ابن خلدون (الجزء الثاني) ، القسم الثالث (ص ٥٤٢) ، (بيروت) ، (حتى نزل بعين أباغ في ذات الخيار) ، ابن الأثير ، الكامل (١/٣٢٠ وما بعدها) .

٤ أبو الفداء ، المختصر (١/٩٧) ، ديوان النابغة (٧٤) ، البلدان (١/٧٣) ، ابن خلدون (الجزء الثاني) ، القسم الثالث (ص ٥٤٢) ، (بيروت) ، (حتى نزل بعين أباغ في ذات الخيار) ، ابن الأثير ، الكامل (١/٣٢٠ وما بعدها) .

الأعرج بن جبلة ، وهي رواية أكثرية الأخباريين[2] . ويؤيد هذه الرواية روايات المؤرخين السريان الذين سموا اسم ملك عرب الشأم ، فدعوه (حرث برجابالا) أي الحارث بن جبلة (حارث بن جبل) . ويلاحظ أن ابن العبري استعمل جملة (ملك العرب) للمنذر[2] . كما استعملها غيره من المؤرخين .

ويرى (ابن الأثير) : أن (الحارث) لما بلغ (عين أباغ) ارسل الى (المنذر) يقول : إنا شيخان هنا ، فلا تهلك جنودي وجنودك ، ولكن ليخرج رجل من ولدك ، وليخرج رجل من ولدي ، فمن قتل خرج عوضه . فإذا فني أولادك وأولادي خرجت أنا اليك ، ومن قتل صاحبه ذهب بالملك . فتعاهدا على ذلك . فعهد المنذر الى رجل من شجعانه ، فأمره ان يخرج ، ويظهر أنه ابن المنذر . فلما خرج ، اخرج اليه الحارث ابنه (ابا بكر) . فلما رآه ، رجع الى أبيه ، وقال : إن هذا ليس بابن المنذر ، انما هو عبده او بعض شجعانه . فقال له الحارث: يا بني ، أجزعت من الموت ؟ فعاد اليه وقاتله ، فقتله الفارس ، فألقى رأسه بين يدي المنذر . وعاد فأمر الحارث ابنه الآخر بقتاله والطلب بثأر أخيه ، فخرج اليه ، فشدّ عليه الفارس وقتله . فلما رأى ذلك (شمر بن عمرو الحنفي) ، وكانت أمه غسانية ، وهو مع المنذر ، غضب ، وقال للمنذر . أيها الملك ، إن الغدر ليس من شيم الملوك ولا الكرام ، وقد غدرت بابن عمك. فغضب المنذر . وهرب (شمر) الى الحارث فأخبره . فلما كان الغد ، أرسل الحارث اصحابه ، وحرضهم ، وكانوا اربعين الفاً ، واصطفوا للقتال ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وقتل المنذر وهزمت جيوشه . فأمر الحارث بابنيه القتيلين فحملا على بعير ، وسار الى الحيرة فانتهبها وأحرقها ، ودفن ابنيه بها ، وبنى الغريين عليهما في قول بعضهم[3] . والمعروف ان الذي بنى الغريين هو النعمان بن المنذر فوق قبري نديميه .

واشار حمزة ايضاً إلى اختلاف الرواة في القاتل والمقتول في يوم عين اباغ ،

---

١ ابن الأثير (١/٢٢٢) .

٢ مختصر تاريخ الدول (ص ١٤٨) ، (بيروت ١٨٩٠) ،
Bar Hebraeus, 81, Vol., I, P. 76.

٣ الكامل (١/٣٢٠ وما بعدها) ، العقد الفريد (٣/٣٧٤) ،

فقال : وقتله الحارث الأعرج ، وهو الحارث الوهاب الجفني يوم عين اباغ . وهو اليوم الذي قيل فيه ما يوم حليمة بسرّ . وفي كتاب المعارف : أن الذي قتله الحارث الأعرج في يوم حليمة هو المنذر بن امرىء القيس . وكان يوم عين اباغ بعد يوم حليمة . والمقتول في يوم عين اباغ المنذر بن المنذر . وكان خرج يطلب بدم ابيه . فقتله الحارث الأعرج ايضاً . وقد سمعنا ان قاتله مرة بن كلثوم أخو عمرو بن كلثوم التغلبي [1] .

وقد ذكر (ابن قتيبة) في (كتاب المعارف) ان الحارث بن ابي شمر الغساني ، وهو الحارث الأعرج ، هو الذي قتل المنذر بن امرىء القيس ، قتله بـ (الخيار [2]) . ويظهر من خبره هذا ان قتل المنذر انما كان بـ (الخيار) ، لا في (يوم حليمة) ، وأن (الخيار) او (الحيار) موضع اقرب ما يكون الى الحيرة منه الى بلاد الشام .

وهناك رواية أخرى عن مقتل المنذر بن ماء السماء نجدها مدوّنة في الأغاني ، لم تشر الى عين اباغ ولا الى يوم حليمة ، او ذات الخيار ، خلاصتها . ان شمراً ابن عمرو الحنفي احد بني سحيم هو الذي قتل المنذر بن ماء السماء ، قتله غيلة لما حارب الحارث بن جبلة الغساني ، فبعث الى المنذر بمئة غلام تحت لواء شمر هذا ، يسأله الامان على ان يخرج له عن ملكه ، ويكون له من قبله . فركن المنذر الى ذلك ، وأقام الغلمان معه ، فاغتاله شمر بن عمرو الحنفي ، فقتله غيلة . وتفرق معه من كان مع المنذر ، وانتهبوا عسكره [3] . وذكر (ابن دريد) ان قاتل المنذر الاكبر ، وهو جدّ النعمان بن المنذر ، يوم عين اباغ ، هو (شمر بن يزيد) ، وهو من (بني حنيفة) ، وكان في جند الملك الغساني [4] .

وتحدث (ابن خلدون) عن (يوم عين اباغ) ، فقال : « كان جبلة بن النعمان صاحب يوم عين اباغ ، يوم كانت الهزيمة له على المنذر بن ماء السماء . وقتل المنذر في ذلك اليوم » [5] . ولكننا نجده يقول في موضع آخر : « عمرو بن

---

١ حمزة (ص ٧٠) .
٢ المعارف (ص ٢٨٣) (طبعة محمد اسماعيل عبد الله الصاوي) .
٣ الأغاني (١١/٤٦) (دار الكتب المصرية) ، العقد الفريد (٢/٦٦) ، الاشتقاق (٢٠٩) ، البكري (١/٦٤) .
٤ الاشتقاق (٢/٢٠٩) .
٥ ابن خلدون ، الجزء الثاني ، القسم الثالث (ص ٥٨٦) (بيروت) .

عمرو بن عبد الله بن عبد العزّى ؛ قاتل المنذر بن ماء السماء في يوم عين اباغ »[1]. وذكر ان (عمراً) هذا هو ابن عم (علي بن ثمامة بن عمر بن عبد العزّي بن سحيم بن مرّة) وهو الذي توّجه كسرى[2] . وقد ذكر ان (جبلة بن النعمان) ، صاحب يوم عين اباغ ، كان منزله بصفين .

وفي رواية اخرى ان (حليمة) كانت قد اخرجت خلوقاً ، فخلقت به الفتيان . ولما خلقت احدهم ، واسمه (لبيد بن عمرو) ، دنا منها فقبلها ، فلطمته وبكت ، فأمسكها ابوها ، ثم ذهب من ذهب وفيهم (شمر بن عمرو الحنفي) وكانت امه من غسان ، الى (المنذر) متظاهرين انهم جاؤوا اليه ليخبروه ان الحارث يدين للمنذر ، وهو يريد ان يعطيه حاجته ، فتباشر اهل عسكر المنذر ، وغفلوا بعض غفلة ، فحمل الغلمان على المنذر وقتلوه ، فقيل : (ليس يوم حليمة بسر) ، فذهب مثلاً[3] .

وذكر (ابن قتيبة) ان « الحارث بن ابي شمر الغساني ، وهو الأعرج وجه الى المنذر بن ماء السماء مئة فارس ، فيهم الشاعر (لبيد بن ربيعة) ، وأمره عليهم ، فصاروا الى عسكر المنذر ، وأظهروا انهم أتوه داخلين في طاعته ، فلما تمكنوا منه قتلوه وركبوا خيلهم فقتل اكثرهم ونجا لبيد ، حتى اتى ملك غسان ، فأخبره الخبر ، فحمل الغسانيون على عسكر المنذر فهزموهم . وهو يوم حليمة . وكانت حليمة بنت ملك غسان . وكانت طيبت هؤلاء الفتيان حين توجهوا وألبستهم الأكفان والدروع وبرانس الأضريج »[4] .

وقد جعل بعض الاخباريين عين اباغ (ذات الخيار)[5] ، ويفيد قولهم هذا ان عين اباغ هو موضع يقع في منطقة تسمى ذات الخيار (الخيار) ، ويرى (نولدكه) ان موضع (الخياران) الوارد في معلقة (الحارث) هو ايضاً هذا

---

١ المصدر نفسه (ص ٦٢٦) .
٢ المصدر نفسه .
٣ الميداني ، مجمع الأمثال (٢/٢٩٥ وما بعدها) .
٤ الشعر والشعراء (ص ١٤٨) ، (طبعة ليدن) .
٥ ابن الأثير (١/٢٢٢) .

المكان [1] . وللتثبت من هذا القول ، لا بد من الوقوف على موضع ذات الخيار (الحيار) و (الحياران) . وقد ذكر ياقوت الحموي ان الحيار صقع من برية قنسرين ، كان الوليد بن عبد الملك اقطعه اقعقاع بن خليد بينه وبين حلب يومان [2] . وهذا الوصف لموقع الحيار ينطبق على ما رواه المؤرخون السريان عن موضع مقتل المنذر كما يوافق رأي من جعل عين اباغ ذات الخيار .

وممن ذهب هذا المذهب ، (ابو الفداء) ، فقال في حديثه عن (يوم عين اباغ) . « ومن ايام العرب يوم عين اباغ ، وكان بين غسان ولخم ، وكان قائد غسان الحارث الذي طلب أدراع امرىء القيس ، وقيل : غيره . وكان قائد لخم المنذر بن ماء السماء . وقتل المنذر في هذا اليوم ، وانهزمت لخم ، وتبعهم غسان الى الحيرة ، وأكثروا بينهم القتل . وعين اباغ في موضع يقال له . ذات الخيار » [3] .

وذكر ابن عبد ربه المتوفي سنة ٣٢٨ هـ ان القتيل في يوم عين اباغ هو المنذر ابن ماء السماء ، وهو الذي تولى ملك الحيرة بعد قابوس وقبل النعمان بن المنذر ، الذي قربه (عدي بن زيد العبادي) الى كسرى . واما القاتل ، فهو الحارث الغساني [4] . ومرد امثال هذا الاختلاف في اسماء الملوك في الروايات ، الى تشابه الاسماء اذ يصعب على الرواة ، وهم يعتمدون في رواياتهم على الحفظ ، ان يميزوا بعد مدة بين امثال هذه الاسماء ، فيحدث لهم مثل هذا الاضطراب .

ونجد هذا الرأي عند (النويري) كذلك ، اذ جعله ايضاً والد (النعمان) الملك الاخير من ملوك الحيرة . والذي قتله كسرى كما سنرى فيما بعد [5] . والنويري هو عيال على (ابن عبد ربه) في كثير من الاخبار ، ولا سيما اخبار الايام .

---

١ وهو الرب والشهيد على يوم الحيارين والبلاء بلاء .
المعلقة . البيت ٨٢ ، شرح الزوزني (ص ١٦٩) ،

٢ البلدان (٣/٣٧٥) .

٣ المختصر في تأريخ البشر (١/٩٧) (بيروت) .

٤ العقد الفريد (٦/١١٠) ، (٥/٢٦٠) (لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٦ م) .

٥ نهاية الأرب (١/٤٣٠ وما بعدها) .

ويتبين من غربلة الأخبار الواردة عن (يوم أباغ) ، (يوم عين أباغ) ان من الأخباريين من يرى ان يوم عين أباغ ويوم حليمة ، هما يوم واحد،ولا فرق بينهما ، وقالوا انما عرف ذلك اليوم بـ (يوم حليمة) ، لبروز اسم (حليمة) فيه ، وهـي بنت ملك غسان ، تخلّق المحاربين وتحثهم عـلى القتال . وان من الأخباريين من جعل (يوم حليمة) يوماً آخر مغايراً ليوم عين أباغ، ثم اختلفوا فيه ، فمنهم من جعله قبل يوم عين أباغ ، ومنهم من جعله بعده . وقد ذكروا انه كان يوماً عظيماً ، اشترك فيه عدد كبير من المقاتلين ، (وعظم الغبار حتى قيل : ان الشمس قد أنحجبت وظهرت الكواكب المتباعدة من مطلع الشمس)[1]. وهذا مما يدل على اشتراك عدد كبير من المقاتلين فيه . وممن ذهب الى ان (يوم حليمة) هو يوم آخر (ابن الأثير) ، وقد جعله بعـد (يوم عين أباغ) . وقال : انه وقع في موضع يعرف بـ (مرج حليمة) ، وسببه ان المنذر لما قتل أراد ابنه (الأسود) الأخذ بالثأر ، فسار في جيش لجب ، والتقى بجيش (الحارث) في (مرج حليمة) . ولما طالت الحرب ، أمر الحارث ابنته (هند) بأن تخلق فتيان غسان ، ونادى فتيان غسان : من قتـل ملك الحـيرة زوّجته ابنتي هند . فقال لبيد بن عمرو الغساني لأبيه : يا أبي أنا قاتل ملك الحيرة أو مقتول ، ثم ركب فرسه ، وشد على الأسود ، فقتله ، وانهزمت لخم ثانية ، وقتلوا في كل وجه . وانصرفت غسان بأحسن ظفر في تفاصيل أخرى لا مجال لشرحها هنا[2] .

فيتبين من خـبر (ابن الأثير) هذا ان الموضع الذي وقـع فيه القتال اسمه (مرج حليمة) ، وان اسم ابنة الحارث هو (هند) لا حليمة ، وان المقتول فيه هو (الأسود) لا المنذر ، وان هذا اليوم قد وقع بعد (يوم عين أباغ) .

وفي رواية ان الغساسنة تمكنوا في المعركة التي سقط فيها المنـذر من أسر أحد أبنائه وهو امرؤ القيس ، وبقي في أسرهم الى أن أغارت بكر بن وائل على بعض بوادي الشام ، فقتلوا ملكاً من ملوك غسان ، واستنقذوا امرأ القيس بن المنذر ، وأخذ عمرو بن هند بنتاً لذلك الملك يقـال لها ميسون[3] . وقد ذهب (كوسان دي برسفال) الى أن هذه الغارة كانت بقيادة أحد أبناء المنـذر القتيل ، وانها

---

١ البلدان (٢/٣٢٥ وما بعدها) ، أبو الفداء ، المختصر (١/٩٧) .
٢ الكامل (١/٣٢٠) وما بعدها .
٣ الأغاني (١١/٤٨) .

كانت غارة انتقامية وقعت بعد المعركة التي سقط فيها ابن ماء السماء[1] .
وقد أشار الحارث بن حلزة الى ذلك في شعره مفتخراً :

وفككنا غل امرىء القيس عنه بعد مـا طال حبسه والعنـاء

وقـد زعم الشرّاح أن امرأ القيس هذا كان معروفاً بماء السماء[2] أما الملك الغساني القتيل ، فلم يشيروا الى اسمه ، وأشك في الذي رواه الأخباريون من أنه كان ملكاً . وأرى احتمال كونه أحد أبناء الملوك . واستعمال جملة (رب غسان) ، هي من باب التفخيم للعمل الذي قامت به بكر .

وذكر بعض الرواة أن حجراً الكندي ، وهو في نظرهم حجر بن أم قطام ، غزا امرأ القيس هذا ، وكانت مع حجر جموع كثيرة من كندة ، غير أن بكراً التي كانت مع امرىء القيس قاتلته ، وقتلت جنوده[3] .

وذهب بعض الأخباريين الى أن مقتل المنذر بن ماء السماء هو في يوم حليمة ، قتله الحارث بن أبي شمر الغساني . وسبب تسمية ذلك اليوم بيوم حليمة أن حليمة ابنة الحارث كانت تخلّق قومها وتحرضهم على القتال في ذلك اليوم . وذهب آخرون الى أنه موضع[4] .

وفي رواية تنسب الى ابن الأعرابي أن بني تغلب حاربوا المنذر بن ماء السماء ، ولكنهم غلبوا على أمرهم ، فلحقوا بالشأم خوفاً منه . وبقوا هنـاك ، فمرّ بهم عمرو بن أبي حجر الغساني في رواية ، أو الحـارث بن أبي شمر الغساني في رواية أخرى ، فلم يستقبلوه ، فانزعج من ذلك ، وتوعـدهم ، وأن عمرو بن كلثوم نهاه عن ذلك[5] .

وقد روى بعض أهل الأخبار أبياتاً من الشعر ، زعموا أن ابنة المنذر قالتهـا في رثاء والدها ، ففي جملتها :

---

١ Caussin, Essai, II, 116.
٢ الأغاني (١١/٤٨ وما بعدها) (دار الكتب المصرية) .
٣ الأغاني (١١/٤٩) (دار الكتب المصرية) .
٤ البلدان (٣/٣٢٠) ، الكامل ، لابن الأثير (١/٣٢٦ وما بعدها) .
٥ الأغاني (١١/٥٧ وما بعدها) .

وقالوا : فارساً منكم قتلنا ، فقلنا : الرمح يكلفُ بالكريم
بعين أباغ قاسمنا المنايا فكان قسيمها خير القسيم[1]

وينسب الى المنذر بناء الغريين في بعض الروايات ، وكان السبب في ذلك كما يقول الأخباريون أنه كان له نديمان من بني أسد يقال لأحدهما خالد بن نضلة (مضلل) (خالد بن المضلل) والآخر عمرو بن مسعود (عمرو بن مسعود الأسدي) ، فثملا ، فراجعا الملك ليلة في بعض كلامه ، فأمر وهو سكران فحفر لهما حفيرتان فدفنا حيين . فلما أصبح استدعاهما ، فأخبر بالذي أمضاه فيهما، فغمّه ذلك ، وقصد حفرتهما ، وأمر ببناء طربالين عليهما ، وهما صومعتان . فقال المنذر : ما أنا بملك إن خالف الناس أمري . لا يمر أحد من وفود العرب إلا بينهما ، وجعل لهما في السنة يوم بؤس ويوم نعيم ، يذبح في يوم بؤسه كلّ من يلقاه ويغرّي بدمه الطربالين ، ويحسن في نعيمه الى كل من يلقى من الناس ويحملهم ويخلع عليهم . وقد ظل المنذر على عادته هذه الى أن حدث له حادث، أظهر فيه رجل ظهر يوم بؤسه وفاءً عظيماً ، فعفا عنه ، وترك تلك العادة وتنصر. وكان الرجل الذي برّ بوعده فحضر بعد عام ليأخذه سيف الجلاد نصرانياً،ولذلك تنصر المنذر . وذكروا أنه لم يكن يتورع من ذبح أعز الناس عليه اذا ظهر له يوم بؤسه . فلما ظهر الشاعر الشهير عبيد بن الأبرص الأسدي ، لم ينجه شعره من مصير ذلك اليوم[2] . وذكروا أن الرجل كاد يسلمه سوء طالعه الى يد الجلاد، هو حنظلة الطائي ، وأنه ترهب بعد هذا وابتنى ديراً له هو الدير المعروف بدير حنظلة . وأما الذي كفل ذلك الرجل حتى يعود بعد عام ، فرجل من أشراف القوم هو شريك بن عمرو . وذكروا أيضاً أن حنظلة هذا هو عم أياس بن قبيصة الطائي ملك الحيرة[3] .

---

١ اللسان (٤١٧/٨) (بيروت) .

٢ البلدان (٢٨٣/٦ وما بعدها) ، الأغاني (٢١٣/٥) (دار الكتب المصرية) ، البكري ، معجم (ص ٦٩٤) . (طبعة ليدن) ، ابن قتيبة . الشعر (ص١٤٤)، الأغاني (٨٦/١٩) ، القالي . الامالي (١٩٥/٣) ، (طبعة دار الكتب المصرية) ، ابن هشام (٤٠١/١) ، شرح قصيدة ابن عبدون (١٣٢) ، شعراء النصرانية (ص ٦٠٠) ، الحور العين ، للحميري (ص ٧٦) ، رسالة الغفران (١٨٢) ، طبقات ابن سلام (٣١) .

٣ شعراء النصرانية (ص ٨٩) .

وورد في بعض الروايات أن (المنذر بن ماء السماء) ، خرج في يوم بؤسه، وكان يوماً يركب فيه فلا يلقى أحداً إلا قتله ، فلقي في ذلك اليوم (جابر بن رألان) أحد (بني ثعل) ومعه صاحبان ، فأخذتهم الخيل بالثوية ، فأتى المنذر فقال : اقترعوا ، فأيكم قرع ، خليت سبيله ، وقلت الباقين . فاقترعوا، فقرعهم جابر ، فخلى سبيله ، وقتل صاحبيه ، فلما رآهما يقادان ليقتلا ، قال عزّ بزّ . ورووا في ذلك شعراً نسبوه الى جابر[1] .

ومن الأخباريين من نسب بناء الغريين الى النعمان الثالث ، ومنهم من نسبهما الى جذيمة ، وذهب آخرون الى نسبة الغريّ الى الحارث الغساني[2] . ويرينا هذا الاختلاف مبلغ جهلهم بأصل الغريين .

وقد ذكر (النويري) ان الغريين أسطوانتان كانتا بظاهر الكوفة ، بناهما (النعمان بن المنذر بن ماء السماء) على جاريتين كانتا قينتين تغنيان بين يديه ، فماتتا ، فأمر بدفنهما ، وبنى عليهما الغريين . وذكر أيضاً ان « المنذر غزا الحارث ابن أبي شمر الغساني،وكان بينهما وقعة عين أباغ،وهي من أيام العرب المشهورة، فقتل للحارث ولدان ، وقتل المنذر ، وانهزمت جيوشه ، فأخذ الحارث ولديه وجعلهما عدلين على بعير . وجعل المنذر فوقهما،وقال : ما العلاوة بدون العدلين؟ فذهبت مثلاً ، ثم رحل الى الحيرة ، فانتهبها وحرقها ، ودفن ابنيه بها ، وبنى الغريين عليهما » . وقد ذكر ان (المنصور) أمر بهدم أحدهما ، لكنز توهم انه تحتهما ، فلم يجد شيئاً .

وهذا الذي يرويه أهل الأخبار عن سبب بناء الغريين ، هو من القصص الذي ألفناه ، وعوّدنا أصحاب الأخبار سماعه ، فلا قيمة تأريخية له في نظرنا ، وان أكد لنا الأخباريون أو حاولوا التأكيد بأنه حق ، وانه أمر مسلّم به وشائع معروف ، وان عبيداً لقي حتفه لظهوره يوم بؤس المنذر أو النعمان . وقد يكون ذلك مسلّماً به عندهم ، غير اننا لسنا من السذاجة بحيث نصدق بأمثال هذا القصص لمجرد انه شائع معروف ، فليس كل شائع معروف أمراً صحيحاً يجب الأخذ به .

---

١ الفاخر (ص ٧٣) .
٢ Rothstein, S. 140.
٣ نهاية الأرب (١/٣٨٧) .

ونحن لا نريد أن ننكر وجود الغريين ، فليس الى نكرانهما أو نكران(الغري) من سبيل . ولكننا كما قلت ننكر هذا القصص الذي يرويه الأخباريون عن هذين الغريين ، لأنه قصص نشأ كما نشأ أمثاله عن جهل الناس أو أهل الأخبار بأصول الأشياء ، فلما احتاجوا الى معرفة الأسباب ، أوجدت لهم مواهبهم هذا القصص الطريف ، وهو أمر لم ينفرد به زمان دون زمان ، فما زال الناس يبتدعون قصصاً ثم يروونه ، ويتناقلونه على انه شائع صحيح ، مع ان تأريخ ابتداعه لا يبعد عن زماننا بكثير ، وأهل الحي بهذا القصص عارفون .

أما ان الغريين حفرتان دفن في كل حفرة منهما رجل حي،لأنه عربد وسكر، وتحدث بكلام غاظ الملك ، وما أشبه ذلك من قصص ، فأمر لا نستطيع أن نقف منه موقفاً ايجابياً ، ولا نسلّم به . ففيه شيء من أثر الصنعة والتكلف . ولكننا نستطيع أن نقول ان الغري أو الغريين من المواضع التي كانت لها صلة بعبادة الأوثان، ومن الجائز انهما كانا مخصصين لتقديم الذبائح والقرابين في المواسم الدينية وفي الأعياد . وقد عرفت مثل هذه العادات عند شعوب أخرى ، فكانت تهرق دماء الذبائح عند الأنصاب ثم تطلى بها . وما الغريان الا نصبان من هذه الأنصاب. على ان الأخباريين أنفسهم قد ذكروا ان الغري نصب كان يذبح عليه العتائر ، كما ذكروا ان الغريين كانا طربالين ، والطربال صومعة على رأي ، وشيء مرتفع عند الأكثرين[1] . فلا يستبعد أن يكون الغريان موضعين من مواضع ذبح القرابين للأصنام .

ويذكر أهل الأخبار أن (شريك بن مطر) ، وهو جد (معن بن زايدة)، كان من أكبر الناس عند المنذر . وكان له ولد اسمه (الحارث) ويلقب بـ (الحوفزان) وهو من بني (شيبان)[2] .

---

١ البلدان (٦/٢٨٢) .
٢ الاشتقاق (ص ٢١٥) .